

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



قسم الفلسفة

# فلسفة الأخلاق بين ابن مسكويه وأبو حامد الغزالي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

خشعي عبد النور

إعداد الطالبة:

فايد إيمان

السنة الجامعية: (2018/2017)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ  
وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ  
وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ  
وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ

شكر وعرافان

على الفوائد اقول حمدا لخالقي

حمدا يترجم مايجيش بخافقي

لولاها ماخط يميني صفحة

ولما استوى قلبي وارسل ناظقي

فله المحامد كله عد الحصى

مالا انشقى أو أتى من غاسق

الى كل من أشعل شمعة في دروب علمنا، والى من وقف على المنابر واعطى من  
حصيلة فكره فكرة لينير دربنا الى الاساتذة الكرام، واتوجه بالشكر الجزيل الى الذي  
تفضل باشراف على هذا البحث فكان نعم المشرف والمرشد جزاهم الله عنى كل  
الخير ومنى التقدير والاحترام الاستاذ الكريم

﴿خشعي عبد النور﴾، كما لانسى من افادني بتوجيهاته الاستاذ ﴿مشته

ياسين﴾.

كما اتقدم بالشكر الجزيل الى الصرح الجامعي الذي جمع شملنا جامعة

﴿محمد بوضياف﴾ واصل بالذكر كلية العلوم الانسانية والاجتماعية وقسم الفلسفة

وكل المسيرين والقائمين عليها .

جزى الله الخير كل من قدم لي يد المساعدة .

## إهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى اعز مخلوقين في الوجود الى روح امي الطاهرة التي  
جاهدت وصبرت وصابرت ولم يسعفها القدر في ان تشاركني فرحة حياتي.

الى الذي زرع فينا حب الحياة وعلمنا كيف نكسر اليأس ونضع منه النجاح ونقوى على مواجهة  
الحياة والذي العزيز حفظه الله .

كما اهديه أيضا إلى اعز إنسان في حياتي والذي ساعدني بقدر لا يستهان به في الدرب  
الجامعي إلى آخر لحظة في تحميل شهادة الماستر وهو زوجي العزيز والى قلبي النابض ابني  
اياد حبيب الرحمن

الى قرة عيني وومضة فؤادي إخوتي حمزة ونبيل إلى سندي وذخيرة في الحياة أختي  
خديجة والى أختي سمرة وزجها الخير وأولادهم احمد صهيب، دعاء الله، محمد سراج، والى أختي  
هجيرة وزوجها كمال وابنتهما أريج هبة الرحمن.

إلى زوجة اخيي نعيمة.

وكذلك اخص بالذكر عائلة زوجي: أمي الثانية فتيحة، نجاة، وليد.

والى كل من ساعدي ولو بكلمة طيبة اهدي ثمرة جهدي وعلمي.



مقدمة

### المقدمة :

تعتبر الأخلاق من المسائل ذات الصلة الوثيقة بالإنسان وحياته، فهي أساس كل تحضر، كما أنها الدرع الواقي الذي يحمي الأمم من الانهيار، فهي تهدف إلى تحقيق التكامل الاجتماعي، والوصول بالإنسان إلى السعادة الحقة.

وتبقى الأخلاق عنصرا فعالا قيما تحققه الإنسانية من تطور، ولها جانب هام في حفظ المجتمع وإستقراره، وهو ما أكد عليه معظم الفلاسفة والمفكرين والمصلحين، إلا أن اتجاهاتهم اختلفت نتيجة لتباعد أفكارهم، فمنطلقا تهم التصويرية للحياة كانت مبنية على أبعاد فلسفية وحضارية مختلفة، فلا غرابة أن تكون هذه الاتجاهات مختلفة.

ولأن الأخلاق ترتبط بفلسفة كل أمة في الحياة، لذا يعتبر المسلمون كغيرهم من الأمم لم يختلفوا في تناولهم لهذا الموضوع فأخلاقهم جاءت مطابقة لنظرتهم إلى الحياة، وتبعاً للأهداف التي سعو لتحقيقها.

كما أن سيرة كل الرجال هي عون على تربية الأجيال، وبما أننا نهتم بإحياء التراث الإسلامي فقد حاولنا أن نساهم بدراسة متواضعة نبرز فيها الفكر الأخلاقي عند مفكرين من أشهر مفكرينا في هذا المجال ألا وهما :

"ابن مسكويه" و "أبو حامد الغزالي" فهما من الفلاسفة المصلحين في الإسلام، كما أنهما إهتما بالبحث في المسألة الأخلاقية وعلاقتها بالإنسان، وكما نعلم فنحن في زمن تتسابق فيه الأمم والشعوب لتتفاخر بمنجزات مفكريها، فكان لزاما علينا أن نلنقت قليلا الى الماضي، وننفض عليه الغبار لتتضح الرؤيا، ونرى بوضوح ما تركه لنا علماءنا وفلاسفتنا من إبداعات لا يمكن الاستعانة بها.

ولنؤكد على دورنا في صنع الحضارة والثقافة الإنسانية، فإذا كان الغرب فتخل بما تركه اليونان من ارث حضاري وبعده مكسبا هاما، في حين أن بعض المؤرخين قد تغافلوا عن

دور المسلمين في إثراء الحضارة الإنسانية، اذن علينا نحن المسلمين أن نستجلي ما تركه علماءنا، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: ما طبيعة الفكر الأخلاقي عند ابن مسكويه والغزالي؟. وما هي الأسس التي تقوم عليها القيم الأخلاقية عن الفيلسوفين والتي تندرج تحت مجموعة من التساؤلات؟

- كيف يمكن للإنسان تحصيل السعادة؟

- ما هي أهم المضامين التربوية التي نظر إليها؟

- ما هي أهم جوانب الاتفاق والأختلاف بين الفيلسوفين (مسكويه والغزالي)؟

إن سبب اختيارنا البحث في هذا الموضوع الذي عنوانه "فلسفة الأخلاق بين مسكويه وأبو حامد الغزالي" يعود الى سببين:

1 - ميلي الى الدراسات الأخلاقية منذ فترة وذلك لإثراء رصيدي العلمي والمعرفي في هذا الموضوع.

2 - كثير من الباحثين يرى أن هناك نقص في الدراسات الفلسفية الأخلاقية عند مفكري الإسلام بالمقارنة بدراساتهم المتنوعة في المنطقيات والإلهيات والطبيعات فاختياري لهذا الموضوع سببه تفنيد هذا الرأي، وإثبات عكسه أما الهدف المرجو من وراء هذا البحث فيتمثل في ما يلي:

- إثبات أن هناك فلسفة أخلاقية إسلامية واضحة المعالم مسكويه والغزالي كنموذج لذلك

- البحث هذا يهدف إلى التعامل مع التراث الفكري الفلسفي بأساليب معاصرة كي نصل ماضيها بحاضرنا بدون تكلف ولا تصنع.

اعتمدت في بحثي على المنهج التحليلي والمنهج المقارن فبالنسبة للمنهج التحليلي تأكد ضرورته عند دراسة نصوص وأفكار التي هي السبيل للتوضيح والاستنباط، أما المنهج المقارن فيسمح لمقابلة الآراء بين الفيلسوفين، وهذا الاستنتاج مما بينهما من تشابه واختلف

وعلى أساس الإجابة على هذه التساؤلات رسمنا خطة البحث المكونة من مقدمة وثلاثة فصول كانت على النحو التالي:

الفصل الأول: وقد خصصناه لدراسة الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية وقسمناه إلى ثلاث مباحث

المبحث الأول: نظرية النفس عند مسكويه وتم من خلاله الحديث عن مفهوم النفس التي تعتبر نقطة بداية لفكره الأخلاقي وكذلك قوى النفس

المبحث الثاني: الفلسفة الخلقية عند مسكويه أردنا من خلال هذا المبحث أن تسلط الضوء عن ما معنى الأخلاق عنده والخير والسعادة وسبل تحقيقهما والفضيلة ومراتبها

المبحث الثالث: التربية الروحية، وفي هذا المبحث الأخير من الفصل الأول تطرقنا إلى التربية من الناحية اللغوية والاصطلاحية وكذلك التربية عند مسكويه بوجه خاص والمراحل التي يمر بها الطفل وكيفية تربيته

الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة الغزالي الأخلاقية تطرقنا في هذا الفصل إلى دراسة ما اعتمده لبناء فكره الأخلاقي وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث

المبحث الأول: نظرية النفس عند الغزالي.

المبحث الثاني: وتم الحديث فيه عن الأخلاق وتعريفها وكذلك السعادة وسبل تحقيقها ونظرتة حول الفضيلة.

المبحث الثالث: التربية الروحية عند الغزالي وبين فيه التربية من وجهة نظر الغزالي ودور التربية في تهذيب الطفل.

الفصل الثالث: مقارنة بين الفلسفة الأخلاقية عند مسكويه والغزالي ووزعنا هذا الفصل إلى مبحثين

المبحث الأول: أوجه التشابه بينهما، وتطرقنا الى أهم نقاط تلاقي بين مسكويه والغزالي.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بينهما.

ولم تخلو هذه المهمة من مشكلات عانيت منها وتجسدت هذه المشكلات

- قلة الدراسات والابحاث التي تتناول أوجه الاختلاف والشبه بين مسكويه والغزالي.
- قلة وندرة مصادر ابن مسكويه خاصة في مكتبتنا.

## الفصل الأول :



الاسس الفكرية العامة في فلسفة

مسكويه الاخلاقية

المبحث الاول: نظرية النفس عند مسكويه

المبحث الثاني: الفلسفة الخلقية عند مسكويه

المبحث الثالث: التربية الروحية عند مسكويه

### المبحث الأول: نظرية النفس عند مسكويه

#### 1. مفهوم النفس:

قبل التطرق إلى صميم الأخلاق عند مسكويه<sup>1</sup> لابد من التعرف على رأيه في النفس والنفس البشرية على وجه الخصوص لأنها تمثل الركائز الأساسية التي تبنى عليها فلسفة الأخلاق.

ومن المعروف عنه تأثره الشديد بسابقيه من الفلاسفة وخصوصا اليونانيين منهم، إلا أنه لا يأخذ رأيا فلسفيا وصبه في قالب إسلامي، وذلك فإنه يرجع إلى مصدره الأول "القرآن الكريم" وكذلك يعطي إهتماما خاصا للحديث النبوي الشريف، وقد أشار إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ سَاها \* 2.﴾

وبما أن النفس هي اللبنة الأولى التي تبنى عليها فلسفته الأخلاقية وباعتبارها -الأخلاق- وسيلة لإصلاح النفس البشرية يقول في هذا الصدد وذلك في كتاباته الأخلاقية >> غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خلقا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة ولا مشقة <<<sup>3</sup>.

حيث يرى ابن مسكويه أن الغرض أو الهدف من وراء تأليفه لكتاب تهذيب الأخلاق في التربية هو الوصول لنفس تحكمها الأخلاق.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: أحمد بن يعقوب، أبو علي الملقب مسكويه، هو فيلسوف ومؤرخ وشاعر فارسي من أبناء مدينة الري، في إيران الحالية، كان ناشطا في الميدان السياسي زمن الدولة البويهية، يعتبر مسكويه أول علماء المسلمين الذين كتبوا في علم الأخلاق بمفهومه العلمي والفلسفي وذلك خلال كتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق.

أنظر : 08/02/2018 على 10:15 <http://ar.m.wikipedia.org>

<sup>2</sup> سورة الشمس: الآية 6-10.

<sup>3</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ، 405 هـ / 1985م ، ص3.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

وعليه فالنفس في اللغة اليونانية اللفظ المقابل هو psyche ويعني النفس والنفس ثم أصبح معناه الروح ... ويقال أن هذا اللفظ psyche لم يطلق إلا على الأرواح المتوفين<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا أن النفس مرتبطة إرتباطا وثيقا بالإنسان، الذي مازال بطبعه وعالمه الظاهر والخفي، آية من آيات الله الكبرى.

فالنفس تصورات من الفكر الفلسفي والفكر الديني، فهي: >> تقع بالاشتراك على معاني كثيرة مثل الجسد، الدم، شخص الإنسان، العظمة، العزة، الهمة والألفة والإرادة ووصف الناس على حقيقتها أمر صعب جدا، والدليل على ذلك أن لها عند الفلاسفة تعريفات مختلفة، منها قول أفلاطون: **إن النفس ليست بجسم، وإنما هي جوهر بسيط محرك للبدن**<sup>2</sup>.

ويتضح من خلال قول أفلاطون أن النفس لا يمكن أن تكون في مرتبة واحدة مع الجسم وذلك تميزها عنه.

كما نجد **أرسطو** رأيا آخر حول النفس وذلك بقوله: >> **أن النفس لا يمكن أن تفعل أو تتفعل بغير جسم، الغضب والرغبة وحتى الفكر، لا يمكن أن تكون بغير جسم**<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ( مادة النفس )، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ب ط)، 2007، ص649.

\* أفلاطون: أعظم فيلسوف في العصور القديمة، وربما في الأزمنة قاطبة. ولد بعيد وفاة بريكليس، نحو عام 427 ق م، من أسرة أرستقراطية أثينية. أنظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص71.

<sup>2</sup> أنظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، (مادة النفس)، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982، (ب ط)، ص481.

\*\* أرسطو: (384ق م - 322ق م) فيلسوف يوناني ترك أثرا عميقا في الفكر اليوناني ومن بعد في الفكر المسيحي والفكر العربي الإسلامي والفكر الحديث. وكان أشهر تلامذة أفلاطون. ولد بمدينة أسطاغيراني مقدونية، وكان أبوه طبيب الملك امينتاس الثاني.

أنظر: هيئة الموسوعة العربية، الموسوعة العربية الشاملة، مج1، منتدى مكتبة الإسكندرية، ط1، 1998، ص877.

<sup>3</sup> نقلا عن ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو وابن مسكويه، دار دجلة عمان، (ب ط)، 2012، ص37.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

يعني هذا أن النفس تعتني بالجسد وتصونه، لكن إذا انفصلت عنه وفارقتة إندثر وتلاشى، لأنها تمثل صورته الأساسية، وذلك أنه لا وجود لها في ظل غياب الجسم.

ومما سبق تناوله يتضح لنا تأثير ابن مسكويه بالفلاسفة اليونانيين إلا أن له نظريته الخاصة حول النفس والذي سنقوم بدراسته في بحثنا هذا، حيث يرى أن النفس >> **جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس**<sup>1</sup>، ويضيف في تعريفه للنفس بقوله >> **ليست بجسم ولا بجزء من جسم ولا حال من أحوال الجسم، وإنما شيء آخر مفارق للجسم بجوهره وأحكامه وخواصه وأفعاله**<sup>2</sup>.

وعليه فإن النفس أعلى مرتبة، وأرقى من الحواس، لأنها تستطيع أن تحكم أخطاء الحواس، إذن النفس أفضل طباعاً من الجسم أي أنها تدرك أسباب الإتفاق والإختلافات التي تطرأ في المحسوسات والتي لا تستعين فيها بأي جزء من أجزاء الجسم، فلكل صورته وحالته المستقلة والقائمة بذاتها.

وأحسن مثال على ذلك: هو أن العين ترى القمر قريب من الأرض، بينما يشهد البرهان العقلي العكس بأن القمر يبعد آلاف الكيلومترات عن الأرض وهذا ما تعيه النفس فهي مستقلة عن الحياة الجسدية ودليلنا على هذا قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَمَاتِهَا ۖ فِي مَسْكِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 4.

<sup>2</sup> نفسه ص 9.

<sup>3</sup> سورة الزمر، الآية 42.

## الفصل الأول: \_\_\_\_\_ الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

كما يضيف مسكويه تعريف آخر للنفس وذلك بقوله: >> بأنها ليست صورة هيولانية\*  
... فالنفس ليس فيها شيء من الرداءة فالنفس ليس لها فساد <<1.

ومسكويه يوضح لنا من خلال هذا المعنى بأن الصورة الهيولانية تتغير ويطراً عليها  
الزوال والبطلان لأنها غير ثابتة.

ونجد كذلك مما ذكره في سبيل تعريفه النفس قوله: >> إنها لا تستحيل ولا تتغير، كما  
يستحيل ويتغير الجسم، هي إذا جوهر مغاير لجوهر الجسم وإن لكل جسم صورته، وهو لا  
يقبل صورة أخرى، إلا بعد مفارقتها لصورة الأولى مفارقة تامة <<2.

وأحسن مثال على ذلك هو أنه إذا قبل الشمع صورة نقش في الخاتم، لا يقبل نقشا  
آخر، إلا إذا زال النقص الأول، مع أن النفس تقبل تعدد الصور أي أكثر من صورة واحدة،  
بإختلاف أشكالها وأنواعها من دون أن يزول الرسم الأول، مع قبول الرسم الثاني تاماً كاملاً،  
وتبقى تقبل صورة بعد صورة، دون أن تتغير.

إذن النفس لا يلحقها فتور ولا تعب، وعليه فإن الجسم يخلص لصورة واحدة، ولإثبات  
أن النفس جوهر خالص - قائم بذاته - نجد ابن مسكويه قد بين لنا ذلك في قول آخر: >>إن  
جوهر النفس هو ذات الإنسان ولبه وخلصته وأن هذا الجوهر ليس بجسم ولا يلزمه شيء  
من أعراض الجسم، أي لا يتزاحم في المكان لأنه لا يحتاج إلى المكان ولا يحرص على  
البقاء الزماني لإستغنائاه عن الزمان <<3.

\* هيولانية: هيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الإصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم  
من الإتصال والإنفصال، محل الصورتين الجسمية والنوعية.

أنظر : جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، مادة الهيولي، ص536 .

<sup>1</sup> ابن مسكويه: الفوز الأصغر، بيروت، ( ب ط ) 1319، ص54.

<sup>2</sup> نقلا ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، ص36.

<sup>3</sup> مصطفى عشوى: الإنسان والكمال في فكر مسكويه، مجلة الراسخون، العدد 13، 2015، ص5.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

ما يؤكد أن النفس جوهر مستقل عن الجسم هو أن الإنسان بعد الموت لا يحس بمرور الزمن (الوقت)، فالموت التي تعني خروج النفس خروجاً نهائياً من الجسد، يعني أيضاً خروجها خروجاً نهائياً من إطار الزمان والمكان.

لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتِلْ بِلِ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ ... ۝<sup>1</sup>

### 2. قوى النفس:

إن البحث عن حقيقة النفس يختلف تماماً عن البحث في أي مسألة كونية حسية، لأن مساحة العلوم الكونية هي المادة، أما النفس فمجردة عن المادة، وكما سبق لنا الذكر أن فلاسفة اليونان كان لهم أثر كبير في فلسفة مسكويه، إذ نجد أن هذا الأخير إستقى جل أفكاره عنهم، ومن أهم النقاط التي أخذها -مسكويه- عن أبرز فلاسفة اليونان -أفلاطون- حيث أنه يقسم النفس إلى ثلاث قوى في البدن الواحد تقوم كل واحدة منها بذاتها بحيث تكون إحداهما وسيلة للاتصال بعالم العقل وأخرى للاتصال بعالم الحس والثالثة كرباط بين هذين الوجهين، وتعتمد لديه هذه التفرقة على أساس تشريحي بمعنى أن العقل مركزه الرأس والغضب مكانه القلب والشهوة موطنها البطن.<sup>2</sup>

إذن أفلاطون يرى بأن كل نفس من الأنفس الأولى والثانية منعزلة عن الأخرى وتعتبر النفس الثالثة هي الأداة الرابطة أو الجامعة بين النفسيتين، وهذا التقسيم الثلاثي للنفس -النفس العاقلة والغضبية والشهوية- وضعه أفلاطون، إذا كانت النفس العاقلة تتميز بخاصية الألوهية فإنها أزلية خالدة، على عكس النفسيتين الفانيتين.

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية، 259.

<sup>2</sup> حياة بنت سعيد بن عمر بأخضر: النفس عند الفلاسفة الإغريق، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 46، محرم 1430هـ، ص 129.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

وعليه نجد ابن مسكويه هو الآخر يقسم النفس إلى ثلاث نفوس أو ثلاث قوى بقوله >> وقد تبين للناظر في أمر هذه النفس وقواها أنها تنقسم إلى ثلاثة أعني القوة التي بها يكون الغضب والنجدة والإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع وضروب الكرامات والقوة التي تكون بها الشهوة وطلب الغذاء والشوق والملاذ...<sup>1<<</sup>

وعليه فإن مسكويه يبين أن النفس واحدة ولها ثلاث قوى تتحدد مع بعضها.

أولاً: وهي كما ذكرنا النفس الناطقة أو العاقلة والتي تتعلق بالفكر وكل ما ينتج عنه، بمعنى قوة يحكمها العقل فهي تعين الإنسان في التمييز بين الخطأ والصواب حتى يصل إلى أعلى درجة من التمييز فهو بذلك -الإنسان- يتميز بهذه الصفة عن بقية البهائم، فيها يشارك الملائكة كونها تعتبر أنقى وأشرف مرتبة وتسمى بالملكية >> أما النفس الناطقة أعني العاقلة فهي كما قال أفلاطون بهذه الألفاظ، أما هذه بمنزلة الذهب في اللين والإنعطاف<sup>2<<</sup>.

فكل من هذا نخلص إلى أن النفس العاقلة هي نعمة من الله عز وجل أنعم بها على الإنسان ليضبط أو ينظم النفس الغضبية والشهوية كونه يتفاضل عن غيره من الكائنات الأخرى بملكة العقل.

ثانياً: وهي القوة الغضبية وتحتل هذه النفس في المرتبة الوسطى وظيفتها الغضب والنجدة، وتسمى بالقوة السبعية، إلا أنها قابلة للأدب، وألتها التي تستعملها في البدن هي القلب.

ثالثاً: وهي القوة الشهوانية وهي في المرتبة الأدنى في ترتيب قوى النفس فهي تقود النفس إلى الشهوات الجسمانية، وإنما إذا طغت على الإنسان جعلته يتحلى بالأعمال الرديئة وشباع الرغبات بحيث يختل التوازن والانضباط داخل الإنسان، فهذه التقوى تسمى بالبهيمة فهي عادمة للأدب.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص13-14.

<sup>2</sup> نفسه، ص46.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

ونجد مسكويه جمع هذه القوى بقوله >> أما الكريمة الأدبية بالطبع فالنفس الناطقة وأما العادمة للأدب وهي مع ذلك قابلة له فهي النفس البهيمية وأما التي عدت الأدب ولكنها تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبية<sup>1</sup>.

مخطط توضيحي لقوى النفس لدى مسكويه

الجانب البيولوجي



القوة الشهوانية



البهيمة



الكبد

الجانب الوجداني



القوة الغضبية



السبعية



القلب

الجانب العقلي



القوة الناطقة



الملكية



الدماغ

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص44.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

إن يبدو مما تقدم أن مسكويه وتحليله للقوة الثلاث أن القوة الناطقة هي أرقى وأشرف النفوس ومادام -ابن مسكويه- يغلب عليه الدين الإسلامي فهو يطابقها بالنفس مطمئنة في القرآن الكريم فهي أرقى درجات الرفعة التي يمكن أن تصل إليها النفس البشرية، ولعل الوصول إلى هذه الدرجة يحتاج منا الكثير من العمل لكي نصل لهذه الدرجة المرموقة، لقوله

تعالى ﴿ مَا أَيْتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً فَاَدْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾<sup>1</sup>.

كما نجد أيضا أن مسكويه يوضح لنا بأن هناك تباين حاصل بين القوى الثلاث فإذا ما طفت نفس على نفس أضرت بالأخرى وقد يصل الأمر إلى ضعف أو بطلان إحداهما، فالإنسان هو الوحيد الذي يستطيع أن يحدد في أي مرتبة يكون ولبيان هذا نجد قول مسكويه >> **فإن شئت فإنزل في منازل البهائم فإنك تكون منهم، وإن شئت فإنزل في منازل السباع، وإن شئت فإنزل في منازل الملائكة وكن منهم**<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سورة الفجر: الآية 26 - 30 .

<sup>2</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية ، ص 39 .

### المبحث الثاني: الفلسفة الخلقية عند مسكويه

#### 1- مفهوم الاخلاق:

تعتبر الأخلاق هي المبادئ الأساسية التي يقوم عليها أي مجتمع، فالإنسان يعيش تحت مظلة المجتمع، ولا بد من تنظيمه بقواعد محددة من أجل أن يكون قويا وسليما.

وعليه فلا بد لنا من التطرق أولا إلى المعنى اللغوي للأخلاق.

أ. الأخلاق لغة: جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة<sup>1</sup>.

حيث يقول ابن منظور صاحب لسان العرب >> "اشتقاق خَلِيق وما أخلقه من الخلاقة وهي التمرين، ومن ذلك تقول للذي ألف شيئا صار له خلقا أي مرن عليه ومن ذلك الخلق الحسن، ويقال خالق الناس عاشرهم وفلان خَلِيق بكذا أي جدير به، ورجل خَلِيق مخلتق أي حسن الخلق...<<<sup>2</sup>.

ب. المعنى الاصطلاحي: اختلفت وجهات النظر في تعريف هذا العلم تبعا لإختلاف الغاية في نظر المعرفين، ثم تبعا لنوع ثقافتهم وقد عرف الفيلسوف الفرنسي "بسكال" هذا العلم بقوله "علم الأخلاق هو علم الإنسان"<sup>3</sup>، فهذا التعريف شمل كل العلوم الإنسانية الوصفية منها والمعيارية كعلم النفس والقانون وعلم الجمال وغيرهم، وكأنه تلخيص دقيق لما ختم به أرسطو كتابه "الأخلاق إلى نيقوماخوس".

فأرسطو يقول: >> "ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظريا بالقواعد بل تطبيقها، ف فيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن نعلم ما هي بل يلزم على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها...<<<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مراد وهبة : المعجم الفلسفي، (مادة الأخلاق) ، ص 33 .

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب ن ج1، دار صادر، ط1، بيروت، 1990م، ص 85-87 .

<sup>3</sup> محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، مطبعة الأزهر، (ب ط)، 1943، ص 02.

<sup>4</sup> محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، الكويت، 1982، ص 15.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

يتضح من قول "أرسطو" أنه لا يمكن الاكتفاء بالمعرفة النظرية فقط بل لابد من التطبيق خاصة في مجال الحياة الأخلاقية فعلى الإنسان ترويض نفسه لتكسب الفضائل وتعمل بها فأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم إمتدت أجيالا وقرونا محتلة بذلك مكانة كبيرة تتصل بأدق وأهم ما تتضمنه العقيدة من بيان وعبادات وآداب ومعاملات.

ج. **الخلق عند مسكويه:** تعتبر الأخلاق من الصناعات التي يجب أن تعطى الأهمية الكافية.

حيث يقول >>فإما أن هذه الصناعة هي أفضل الصناعات كلها أعني صناعة الأخلاق التي تعنى بتجويد أفعال الإنسان بما هو إنسان<sup>1</sup> لأن الأخلاق هي مفتاح الشخصية بها يثبت نفسه لذاته ولمجتمعه ويحقق كذلك الحياة الفاضلة.

فقد تعددت الآراء حول موضوع الأخلاق بذكر أنه من إختصاص النفس الناطقة وكما يبدو كذلك تضارب الآراء حول طبيعة الخلق هل هو طبيعي أم غير طبيعي ؟  
ومن آراء هؤلاء حول الأخلاق: >> فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ .... فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه وقال آخرون ليس شئ من الأخلاق طبيعيا للإنسان ولا نقول أنه غير طبيعي<sup>2</sup>.

فوجد ابن مسكويه يأخذ بالرأي الأخير الذي يقول بأنه لا يمكن إرجاع الأخلاق على أنها طبيعية في الإنسان أو أنها غير طبيعية، أي أننا لا نحكم عنها حكم مطلق يستدل مسكويه بقضية منطقية على أن الخلق ليس بالطبع إذ يقول: >> كل خلق يمكن تغييره، لا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع، لا خلق ولا واحدا منه بالطبع<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مسكويه: تهذيب الأخلاق، تح عماد الهلالي، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ط1، 2011، ص270.

<sup>2</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 26.

<sup>3</sup> نقلا عن الشيخ كامل محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،

1993م، ص 44.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

اشتهر مسكويه باهتمامه بمجال الأخلاق حيث ألف كتابه المشهور >> تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"، يشرح فيه ضرورة معرفة أنفسنا أولاً والإلمام بقواها وملكاتنا مشيراً إلى ضرورة تقويم الخلق على أساس فلسفي سليم وعليه هذا ما أوجب علينا معرفة النفس وخصائصها فيما تقدم لأن الخلق يصدر عنها.

فوجد ابن مسكويه يعرف الخلق بأنه >> الخلق حال النفس داعية لها من غير فكر ولا روية، وهذه الحالة تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب كالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفرع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً<sup>1</sup>.

يظهر أن مسكويه يؤكد أننا قابلون للتخلق بأخلاق مختلفة ويشهد لذلك الواقع وملاحظة انتقال الصبي الناشئ من حال لحال تبعاً للبيئة التي تحويه ولنوع الثقافة التي يتلقاها.

كما أن ابن مسكويه يرى أن طريق تحصيل الخلق الفاضل الذي تنشأ عنه الأفعال الجميلة يتم بمعرفة الإنسان لنفسه وقواها وملكاتنا وغايتها.

وفي هذا الصدد فإن مسكويه قد مزج بين التعاليم الفلسفية - تعاليم أفلاطون وأرسطو - بتعاليم الإسلام الذي بحث عن مبادئ الأخلاق لأن العقيدة الإسلامية عقيدة وسطية، فكانت دعوة الإسلام من أجل تحقيق المثل العليا الأخلاقية.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 25-26.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

فإن الله عز وجل مدح نبيه صلى الله عليه وسلم حامل رسالة الدين القويم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>1</sup>، ووصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>2</sup>.

### 2- الخير والسعادة وسبل تحقيقها:

#### أ- الخير عند مسكويه:

في بداية الأمر إستمد مسكويه فكرة الخير من ألفاظ أرسطو طاليس إقتداءً به وتوفية لحقه.

فيقول: >> إن الخير على ما حده وإستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الأخيرة ، وقد يسمى الشيء النافع في هذه الغاية خيراً <<<sup>3</sup>.

ويضيف كذلك بقوله بأن: >> الخير الذي يقصد الكل بالشوق، فهو طبيعة تقصد ولها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم بأجمعهم مشتركون فيها <<<sup>4</sup>.

فمسكويه يرى بأن الخير الذي يقصده الكل بالشوق عام على الناس جميعاً لأن الإنسان يتجه دائماً بأفعاله إلى الخيرات، فيها يتحقق كماله ويشارك غيره.

صحيح أن الإنسان يسعى وراء الخير إلا أن الإرادة الإنسانية تحمل الأفعال الخيرة والشريرة، إلا أن الأشياء الإرادية التي تنتسب إلى الإنسان تنقسم إلى الخيرات والشرور، إن الغرض المقصود بوجود الإنسان، إذ توجه الشخص إلى ما يحصل عليه، فيسمى به خيراً وسعيداً، أما الذي تعيقه بعض العوائق فهو الشرير الشقي، الخيرات إذن بحسب رأي مسكويه تحصل للإنسان بإرادته وسعيه أو بكسبه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة القلم: الآية 4 .

<sup>2</sup> سورة الشورى: الآية 52 .

<sup>3</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية ، ص 63 .

<sup>4</sup> نقلاً عن: الشيخ كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، ص 262 .

<sup>5</sup> ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، ص 178.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

ومن هنا يظهر لنا بأن الإنسان من بين الموجودات كلها تتحقق إنسانيته بالأمر الإرادية، فالخير حسب رأي مسكويه يحصل لنا عن طريق إرادتنا الخاصة فبكل هذا تتحقق الحياة المرضية، فلا بد على الإنسان أن يحافظ على الخيرات ويقتنيها فهي كمالنا وتامنا ومن أجلها خلقنا واجتنب كل الشرور التي تبعدنا عنها.

### ❖ أقسام الخير:

أما عن أقسام الخير عند ابن مسكويه فهو يأخذه على ما قسمه أرسطو وحكاه عنه فرفيوس، قال: >> الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي محمودة ومنها ما هي بالقوة كذلك وما هي نافعة فيها <<<sup>1</sup>.

يوضح مسكويه من خلال قوله هذا أن الخير له عدة أقسام كل واحدة على حدى فهو يقصد بالخيرات الشريفة هو كل ما يخص الحكمة والعقل، أما الممدوحة فكل ما يصدر عن الإنسان من سمات وفضائل وأفعال جميلة من محض إرادته، أما النافعة هي التي تحصل بها الخيرات منها ما هي غايات أي أن الإنسان ينشد من أجل تحقيقها وكذلك منها ما ليس بالغايات.

فالخير عند مسكويه متعدد على جهات هناك خير على الإطلاق يسعى جميع الناس لتحصيله وهناك خير آخر وهو خير عند الضرورة وأيضا ما ليس بخير لجميع الناس كما نجد مسكويه يؤكد بأن: >> الخيرات منها ما هو في الجوهر، ومنها ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر المقولات كالقوى والملكات <<<sup>2</sup>.

وعليه فإن الغاية الأخيرة للإنسان هو تحقيق الخير الأسمى على مستوى الفرد والجماعة.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 64 .

<sup>2</sup> نفسه ص 65.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

ويقصد من قوله ما هو في الجوهر: أعني ما ليس بغرض فالله - تبارك وتعالى - هو الخير الأول، فإن جميع الأشياء تتحرك نحوه بالشوق إليه، ولأن مآل الخيرات الإلهية من البقاء والسمودية والتمام منه، وأما في الكمية فالعدد المعتدل والمقدار المعتدل، وأما في الكيفية فكا للذات، وأمل في الإضافة والرياسات<sup>1</sup>.

### ب- السعادة:

تعد نظرية السعادة من أهم المحاور التي شغلت مفكري الأخلاق منذ القدم ومن قبل الفلسفة اليونانية، كما أنها تعد محورا أساسيا عند فلاسفة الإسلام، فكانت نتاجا للمؤثرات اليونانية والمؤثرات الإسلامية ( الكتاب، السنة )، مما يميزها عن باقي النظريات.

يعد مصطلح السعادة من بين أهم وأكثر المصطلحات إتساعا ونجد له تعريفات كثيرة من بينها ما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا بأن:

السعادة ضد الشقاوة، وهي الرضى التام بما تتاله النفس من الخير، والفرق بين السعادة واللذة أن السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأن رضى النفس بها تام، على حين أن اللذة حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وأن رضى النفس بها مؤقت، ومن شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية<sup>2</sup>.

### ب-1- السعادة عند مسكويه:

وفي هذا الصدد يأخذ ابن مسكويه برأى سابقه (اليونان) بأن السعادة: >> هي الخير بالإضافة إلى صاحبها وهي كمال له، فالسعادة إذا خيرا ما وقد تكون سعادة الإنسان غير سعادة الفرس وسعادة كل شئ في تمامه وكماله الذي يخصه <<<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مسكويه: تهذيب الأخلاق تح عماد الهلالي، ص 308.

<sup>2</sup> جميل صليبا: المعجم الفلسفي: ج 1، ( مادة السعادة )، ص 656.

<sup>3</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 63.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

إن السعادة عند مسكويه نوع من الخير وأنها تخص الإنسان دون غيره من الموجودات وذلك بما يصدر عنه من قوته المميزة المرورية.

ويضيف مسكويه على ما ذكره بأن السعادة خيرا ما وهي تمام الخيرات بقوله:

>إن السعادة هي أفضل الخيرات ولكن نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى إلى سعادات أخرى وهي التي تكون في البدن والتي خارج البدن<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا يتبين أن الكمال والتمام هو الهدف المبتغى لكن ليس كافيا لوحده إلا أنه يتحقق كذلك من خلال إجتماع سعادات مختلفة التي تكون في البدن وخارج البدن.

ومتى وصل الإنسان إلى هذا فإنه ولا شك قد حقق السعادة التي هي الغاية القصوى إلا أننا نجد أنه يؤكد - مسكويه - بأن الإنسان تتم له السعادة بتحصيل الجهتين معا أي السعادة النفسية والبدنية.

### ب-2- أقسام السعادة:

أما أقسام السعادة فهي خمسة والتي قال بها أرسطو طاليس أحدها في صحة البدن ولطف الحواس، ويكون ذلك من إعتدال المزاج ... والثاني في الثروة والأعوان وأشباههما حتى يتسع ... والثالث أن تحسن أحوالته في الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل ... والرابع أن يكون منجحا في الأمور، وذلك إذا إستتم كل ما روى فيه وعزم عليه ... والخامس أن يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الإعتقادات في دينه وغير دينه<sup>2</sup>.

وعليه نجد مسكويه يبدي رأيه بعد هذا التقسيم بأنه لو تحصل الإنسان على هذه الأقسام كلها فهو السعيد التام والكمال على مذهب هذا الحكيم، ولكن من حصل له بعضها كان نصيبه من السعادة بحسب ذلك.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق في التربية، ص 66 .

<sup>2</sup> الشيخ كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، ص 265 .

## الفصل الأول: \_\_\_\_\_ الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

فمسكويه يقر بأن سعادة كل موجود، إنما هي موقوفة على نتيجة أعماله إن سعادة الإنسان إذن تكون في صدور أفعاله الإنسانية عنه بحسب الرواية<sup>1</sup>.

فهو يقصد بأن لابد على الإنسان أن يختار الأفضل ويعمل به فبذلك يكون سعيدا ويصل إلى الملك الأبدي والنعيم السرمدي - وهذا ما يميزه عن باقي الموجودات - بوظيفته الخاصة به وهي التفكير والتعقل والتروي في الأمور.

وبالرغم مما تقدم بأن مسكويه أخذ برأي سابقه إلا أنه خرج برأي خاص به حول السعادة.

فمسكويه يؤكد بأن: >> الإنسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة، وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الأنعام لأنه مركب منها فهو بالخير الجسماني الذي يناسب به الأنعام مقيم في العالم السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى إذا ظهر بهذه المرتبة على الكمال إنتقل إلى العالم العلوي وأقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والأرواح الطيبة <<<sup>2</sup>.

يتضح لنا بأن السعادة عنده تتم بالجمع بين جزئي الحكمة النظري والعملية، والفلسفة - الكمال الأول - يمكن تحصيل الآراء الصحيحة والعلوم التي تنتهي بالعلم الإلهي أما الكمال الثاني ونقصد به الجزء العملي يتم من خلال تنظيم قواه وأفعاله الخاصة.

### ب-3- أنواع السعادة:

ولهذا يظهر لنا بأن السعادة عند مسكويه هي سعادتان: الأولى دنيوية والثانية روحانية ولا يتم الكمال للإنسان إلا إذا حصل على المرتبتين:

<sup>1</sup> ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، ص 179 .

<sup>2</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية ، ص 69 .

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

✓ **السعادة الدنيوية:** ومع ذلك يجب أن نعلم بأنها ليست سعادة تامة - فانية - لأنه يتأثر دائما بكدر المادة ويتحسر على ما يفوته من الملذات.

ينتقل مسكويه إلى حياة الواقع ويستقرئ واقع الناس فهذه السعادة تتحقق بالكمال القريب، وهذا ما قصده مسكويه بالمرتبة الأولى وهو أن الإنسان يتعلق بأحواله الجسمانية ويلبي مطالب بدنه ويكون سعيدا بها.

إن السعيد عند مسكويه لا محالة، في إحدى المرتبتين إذ يقول: >> أن أحدهما ناقص مقصر عن الآخر بسبب الزخارف الحسية التي تعرضه فيما تلابسه، فتعوقه عما يلاحظه، وتمنعه من الترقى على ما ينبغي، وتشغله لما يتعلق به من الأمور الجسمانية، صاحب هذه الرتبة إذن غير كامل على الإطلاق ولا سعيد تام السعادة<sup>1</sup>.

✓ **السعادة القصوى:** هي حالة من السمو الذاتي والرقى الروحي كما أنها تكفي نفسها ولا تحتاج إلى شيء آخر ويعبر مسكويه عن حالة الإنسان الذي ارتقى إلى هذه الدرجة من السعادة: >> إن صاحب المرتبة الأخرى هو السعيد التام وهو الذي توفر حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانية بين الملاء الأعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الإلهي ... ولذلك يكون أبدا خاليا من الألام ... ويكون مسرورا أبدا بذاته مغتبطا بحاله ... وهذه المرتبة من وصل إليها فقد وصل إلى آخر السعادات ... وهو الذي يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التي عدناها ... كلها كلا عليه<sup>2</sup>.

ولهذا فالسعادة التامة التي يتوفر فيها الإنسان على حظ وافر من الحكمة فيقيم بروحانيته في التقرب من الله يستنير بالنور الإلهي.

<sup>1</sup> نقلا عن: ناجي التركيتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، ص184.

<sup>2</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 71.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

كما أنها تتصف بالقداسة أن الذي يرغب فيها أول شيء يقوم به هو التخلي عن نزوات البدن حتى تفسح المجال للعقل الذي يربطه بعالم الإله، فهي مطلوبة من طرف الجميع وهي الهدف الأسمى فهي تميز الإنسان عن غيره.

إن هذه السعادة ممكنة التحقق في هذا العالم رغم أنها تتصف بالقداسة لكن تحققها ممكن رغم أنه صعب التحقق إلا للقليلين، يقول مسكويه: >> إني ذكرت هذه المرتبة الأخيرة من السعادة طمعا في وصول الأحداث إليها، بل يمر على سمعهم فقط، وليعلم أن هنا مرتبة حكيمة لا يصل إليها إلا أهلها الأعلون مرتبة ... <<<sup>1</sup>.

ينصح مسكويه أنه من يسعى إلى أن يصل إلى هذه المرتبة لابد له من أن يسمو ويرتقي بالتدرج في الحكمة، فمن حقق هذه الغاية النهائية من السعادة فإنه فاز وأعد نفسه للقاء - الباري عز وجل-.

أما عن الحال في آخر رتب الفضائل التي يتقبل فيها الإنسان أفعال المبدأ الأول، خالق الكل عز وجل، أعني أن يكون في ما يفعله لا يطلب به حظا ولا مجازاة ولا عوضا ولا زيادة لكن يكون فعله يعنيه هو غرضه، أي ليس يفعل من أجل شيء غير ذات الفعل غير ذاته، وهو أن يفعل ما يفعله من أجل شيء غير فعله نفسه وذاته نفسها هي العقل الإلهي نفسه<sup>2</sup>.

وينتهي ابن مسكويه إلى أن هذا: >> هو غرض الفلسفة ومنتهى السعادة، إلا أن الإنسان لا يصل إلى هذه الحال حتى تفنى إرادته كلها التي يحسب الأمور الخارجة وتفنى العوارض النفسانية وتموت خواطره التي تكون عن العوارض ويمتلئ شعارا إلهيا وهمة إلهية <<<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نقلا عن: الشيخ كامل محمد محمد عويضة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، ص 275.

<sup>2</sup> ناجي التركيتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، ص 188.

<sup>3</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 75.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

يتبين لنا بأنه لا بد على الإنسان أن يتخلص من الأمور الحسية ونزواته الدنيئة فهو يحظى بالسعادة التامة فهي الغاية التي لا غاية بعدها.

ف نجد مسكويه يستشهد بقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>1</sup>.

أخلص في الأخير من خلال دراستي للسعادتين - الدنيوية والقصوى - إلى أن الرابط الوحيد والمحرك الأساسي بينهما يبقى دائما العقل فالعقل هنا أي في السعادة الأخلاقية هو عقل عملي والكمال هنا كمال قريب، أما العقل في السعادة القصوى فهو نظري والكمال هو كمال بعيد.

ولإكتساب السعادة الأخلاقية هذه أول ما يقوم به الإنسان هو ترتيب قوى النفس الموجودة فيه بحسب ما يتطلبه العقل.

### 3- الفضيلة ومراتبها:

النفس عند مسكويه لها ثلاث قوى كما سبق الذكر، وهذه القوى قد يسوء أو يحسن استخدامها، وذلك لعدة عوامل مختلفة قد تطرأ عن هذه الأنفس (الناطقة، الغضبية، الشهوانية)، وهذه الأخيرة يترتب عنها مجموعة من الفضائل والتي يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى وهذا ما سوف نعرضه من أجل توضيح كل صفة على حدى.

<sup>1</sup> سورة السجدة: الآية 17.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

### أ. مفهوم الفضيلة

أ-1- الفضيلة لغة: في مدلولها اللفظي تفيد الفضل والزيادة<sup>1</sup>.

أما في اللاتينية > virtus تدل على القوة والشجاعة ورباطة الجأش مع حسن الخلق والشهامة والمروءة... <<2.

أ-2- الفضيلة إصطلاحاً: يعد مصطلح الفضيلة من أكثر المصطلحات اتساعاً ونجد لها تعريفات عديدة من بينها ما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا رأي أفلاطون حول الفضيلة بقوله: > الفضيلة هي العلم بالخير والعمل به <<3.

وقال أرسطو بأن: > الفضيلة هي الإستعداد الطبيعي أو المكتسب للقيام بالأفعال المطابقة للخير <<4.

### ب. الفضيلة عند مسكويه:

إذن للنفس ثلاثة فضائل رئيسة بحسب قواها. وكل هذا فنجد ابن مسكويه يؤكد بأن الفضائل لا تحصل إلا عن طريق تهذيب نفوسنا وتنقيتها من الشرور والانصراف عن الأمور العائقة والابتعاد عن الرذائل التي هي أضرارها حيث يقول > فأما الفضائل أنفسيها فليست تحصل لنا إلا بعد أن تظهر نفوسنا من الرذائل التي هي أضرارها أعني شهواتها الرديئة الجسمانية ونزواتها الفاحشة البهيمية <<5.

<sup>1</sup> ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، ( مادة الفضيلة )، (ب ط)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص 136.

<sup>2</sup> جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ( مادة فضيلة )، (ب ط) دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 326.

<sup>3</sup> جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، (مادة الفضيلة)، ص 148.

<sup>4</sup> نفسه ص 148.

<sup>5</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 09

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

فالفضيلة عند مسكويه: > بأنها وسط بين رذائل، أنه في الوقت نفسه يقول أن الوسط صعب، وأن التمسك به بعد وجوده أصعب... إن الفضائل تتم بالإجماع لأن الإنسان مدني بالطبع<sup>1</sup>.

فيتضح لنا من هذا القول بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين . معتدلة وسطا لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط فدائما نضرب المثال الشائع الذي يقول خير الأمور أوسطها، كما أن الوسط من الصعب تحديده.

لكن مهما كان الإنسان منفردا لذاته، إلا أنه محتاج في الحياة المدنية و هذا الأمر فيه صلاح للفرد وصلاح للمجتمع الذي يعيش فيه من أجل أن يمارس الفضيلة. لأن الإنسان من المستحيل أن يعيش حياة الزهد والتفرد.

يشير ابن مسكويه إلى قوى النفس كما قال بها أفلاطون ومدى علاقتها بالفضائل وما يقابلها من رذائل.

موضحا ذلك بقوله: > ووجب أن يكون عدد الفضائل بحسب أعداد هذه القوى وكذلك أضعافها التي هي رذائل . فمتى كانت حركة النفس الناطقة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها إلى المعارف الصحيحة... حدثت عنها فضيلة العلم وتتبعها الحكمة ، ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير متأبية وعليها فيما تقسطه لها ولا منهكة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها فضيلة السخاء ، ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تقسطه لها فلا تهيج في غير حينها ولا تحمي أكثر مما ينبغي لها حدثت منها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نقلا 2 عن: ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، ص 59.

<sup>2</sup> ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق في التربية، ص 14.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

كما يقر ابن مسكويه بوجود فضيلة رابعة تنتج من خلال إتحاد الفضائل فيما بينها وبذلك يصبح مجموعة من الفضائل أربعة وهي: الحكمة، العفة، الشجاعة، العدالة، ويثبت ذلك بقوله: >> ولهذا لا يفتخر أحد ولا يتباهى إلا بهذه الفضائل فقط. فأما من افتخر بآبائه وأسلافه فلأنهم كانوا على بعض هذه الفضائل أو عليها كلها<sup>1</sup>.

يتوضح مما سبق أن على الإنسان لا بد من أن يسعد ويتباهى بمدى تمسكه بهذه الفضائل لأنها ترسم له الطريق الصحيح وتضمن له الحياة الهنيئة فهو يتبع آباءه وأجداده إذا وجدهم على هذه السير من الفضائل ويعمل بها لأن الفضل مقسوم بين البشر ولا يكمل الواحد منهم إلا بفضائل غيره.

وعليه فسوف نذكر هذه الفضائل كل واحدة على حدى وما يقابلها من رذائل أضرارها. وهذه الأخيرة تنتج من خلال عدم توازن بين الأنفس الثلاث أو تغلب نفس على إحدى النفسيتين.

### ب-1 - فضيلة الحكمة:

فضيلة الحكمة عند ابن مسكويه وهي >>فضيلة النفس الناطقة المميزة، وهي: أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة، وإن شئت فقل أن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية، وثمر علمها بذلك أن تعرف المعقولات أيها يجب أن يفعل أو أيها يجب أن يغفل<sup>2</sup>.

ويعرض مسكويه هذه التسمية ويجعلها في مقدمة الترتيب . الحكمة. وهذه الأخيرة يندرج تحتها مجموعة من الفضائل الفرعية وهي الذكاء، الذكر التعقل، سرعة الفهم، وقوة صفاء الذهن، سهولة التعلم، فبهذه الأقسام تتحقق الحكمة.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 15.

<sup>2</sup> نقلا عن: محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (ب ط) 2012 م، ص

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

ويقصد مسكويه بالأقسام الأربعة التي تتدرج تحت فضيلة الحكمة فيقول: >> أما الذكاء فهو سرعة إنقذاح النتائج وسهولتها على النفس، أما الذكر فهو ثبات صورة ما يخلصه العقل والوهم من الأمور، وأما التعقل فهو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعية بقدر ماهي عليه، وأما صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب، وأما جودة الذهن وقوته فهو تأمل النفس لما قد لزم من المقدم، وأما سهولة التعلم فهي قوة للنفس وحدة في الفهم بها تدرك الأمور النظرية <<<sup>1</sup>.

بما أننا ذكر ما المقصود بالوسط الذي قال به مسكويه وأنه لا يقصد به الوسط الحسابي وإنما وسط اعتدال وهذا الاعتدال يكون بين رذيلتين.

ولكن إذا انزاحت الفضيلة عن موضعها قربت من ضدها أي من الرذيلة فالحكمة: >> وسط بين رذيلتين هما السفه والبله <<<sup>2</sup>.

### ب-2- فضيلة الشجاعة:

فمسكويه يعرف الشجاعة بأنها >> فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها، للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما يوجبه الرأي في الأمور الهائلة أعني أن لا يخاف من الأمور المفزعة، إذا كان فعلها جميلاً والصبر عليها محموداً <<<sup>3</sup>.

يتوضح بأن الشجاعة وجدت من أجل الأمور التي تخص الإنسان وتواجهه في حياته اليومية والتي يجب على الفرد أن يقدم عليها في بعض الأوقات ولا يهرب منها.

فالشجاعة >> وسط بين رذيلتين أحدهما الجبن والأخرى التهور <<<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 18.

<sup>2</sup> إبتهاج إبراهيم الأمين محمد النور: الأسس الفلسفية لفكر ابن مسكويه الأخلاقي، مجلة المنير، العدد 18، (ب ط ) ، (ب ت) ، ص 111.

<sup>3</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية ، ص 16.

<sup>4</sup> نفسه، ص 23.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

يتبين لنا بأن الجبن هو الخوف الشديد من شيء لا يجب أن يخاف منه، أما التهور فهو السرعة في أخذ الأمور دون تفكير ما سوف يترتب عنها من عواقب.

ويندرج تحت جنس هذه الفضيلة أنواع من الفضائل وهي <<كبر النفس، النجدة، الثبات، عظم الهمة، الحلم، عدم الطيش، الشهامة، إحتمال الكد<<<sup>1</sup>.

ويقصد بالسفه همنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي ... وأعنى بالسفه تعطيل هذه القوة وإطراحها ...<sup>2</sup>

### ب-3- فضيلة العفة:

فالعفة >> فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي، أعني أن يوافق التميز الصحيح<<<sup>3</sup>.

وعليه فالعفة هي فضيلة النفس البهيمية تتحقق من خلال اجتناب كل ما يتعلق بالشهوات الحسية والأمور الجسمانية التي تدمر الإنسان وتناقض من وراء هذه الفضيلة فضيلة السخاء، فإن السخاء هو الاعتدال في إنفاق المال في الأمور الضرورية وتندرج عنده عدة فضائل منها >> الكرم، الإيثار، النبيل، المواساة، السماح، المسامحة. أما الكرم فهو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الامور جليلة القدر كثير النفع كما ينبغي...<<<sup>4</sup>

أما العفة >> فهي وسط بين رذيلتين هما الشره وحمود الشهوة<<<sup>5</sup>.

ومن خلال هذا يتبين أن العفة تتوسط الشره الذي هو التعمق في الشهوات واللذات بأنواعها والخروج عما يجب وحمود الشهوة والسكون عن الحركة التي تتناقض نحو اللذات

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص 18.

<sup>2</sup> نفسه، ص 22.

<sup>3</sup> نفسه، ص 16.

<sup>4</sup> نفسه، ص 19.

<sup>5</sup> نفسه، ص 23.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

الجميلة التي هي ضرورية للبدن وقت الشرع والعقل وتندرج تحت هذه الفضيلة أنواع أخرى أو أجناس من الفضائل هي الحياء، السخاء، الدعة، الصبر، الحرية، القناعة، الدماثة، الإنتظام، حسن الهدى، المسالمة، الورع.

### ب - 4 - فضيلة العدالة:

العدالة عند مسكويه هي >> فضيلة النفس تحدث من إجتماع الفضائل الثلاث، هذه الفضيلة تكون في الإنسان حين تنسجم القوى مع بعضها، ولا تتغالب ولا تتحرك نحو مطلوباته، بل تستسلم لزام القوة المميزة<sup>1</sup>.

تنتج هذه الفضيلة من خلال اتحاد الفضائل الرئيسية الثلاث (الحكمة، الشجاعة، العفة) لأنها تعتبر أشرف وأنقى الفضائل كما أنها كمال وتمام الثلاث.

وهذا ما يؤكد مسكويه بأن العدالة وسط بين رذيلتين: >> فهي وسط بين الظلم والإنظام، أما الظلم فهو التوصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي. وأما الإنظام فهو الإستحذاء والإستماتة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي<sup>2</sup>.

يرى مسكويه بأن العدالة نجدها في ثلاث مواضع موضحا ذلك بقوله: >> أحدها قسمة الأموال والكرامات والثاني قسمة المعاملات الإرادية كالبيع والشراء، المعاوضات، والثالث قسمة الأشياء التي وقع فيها ظلم وتعد<sup>3</sup>.

وعليه فإن بفضيلة العدالة ينتصف الفرد من نفسه وعلى نفسه فالعدالة مميزة بين الفضائل كلها فمثلا الفرد لا يصل إلى درجة الحكمة إلا إذا التزم العدل في مختلف مواقفها فبذلك يحقق المساواة .

<sup>1</sup> نقلا عن: ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، ص 75.

<sup>2</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 23-24.

<sup>3</sup> نفسه ، ص 94.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

أما عن الفضائل التي تكون تحت فضيلة العدالة هي >> الصدقة، الألفة، صلة الرحم، المكافأة، حسن الشراكة، حسن القضاء، التودد، العبادة، ترك الحقد، مكافأة الشر بالخير، استعمال اللطف ...<sup>1</sup>.

يعطي مسكويه أهمية كبيرة لفضيلة العدالة لأنها توحد وتجمع بين الفضائل الثلاث السابقة الذكر فهي تعتبر أهم الفضائل وليست جزءا منها، وبما أن ابن مسكويه فيلسوف إجتماعي فهو ينفي فكرة العزلة والىفراد ، فالعدالة عنده فضيلة إجتماعية يقصد بها المساواة والإنسان لا يمكن الاستغناء عنها.

وما نخلص إليه في الأخير أن لكل قوة نفس فضيلة فيكون المجموع ثلاث بالإضافة إلى فضيلة العدالة التي هي نتيجة اتحاد تلك القوى في ما بينها. فالفضائل هي الحكمة، العفة، الشجاعة، العدالة، وهو يتأثر كل التأثير بأفلاطون. لكن لديه تقسيم آخر للفضائل يتأثر فيه بالقسمه الأرسطية.

فهو يجعل الفضائل المذكورة سابقا فضائل خلقية فهي تكتسب عن طريق التربية المران والإنسان لكي يكتسبها لا بد له من أن يعيش في مجتمع ولا يعيش منعزلا عنه، وهذه الفضائل تكتسب قبل الفضائل النظرية، لأنها تسعى إلى الكمال القريب وهي تكتسب عن طريق السعادة والممارسة.

أما الفضائل النظرية تخص العقل تكتسب بالتعليم والبراهين لا بالضرب أو الإطماع في الكرامات وهي تتطلب سن الرشد لاكتسابها.

<sup>1</sup> ابن مسكويه تهذيب الأخلاق في التربية، ص 19.

### المبحث الثالث: التربية الروحية عند مسكويه

يعد موضوع التربية من أهم الموضوعات وأعظمها شأنًا، استأثر باهتمامه جميع الأمم عبر كل العصور، وشغل بال كل من العلماء والمفكرين، فكتبوا فيه الكتب وألّفوا فيه الرسائل، وما زالوا على هذا المنهج سائرين، وليس هذا بغريب لأن التربية أساس كل تقدم واصطلاح، هي أيضا الطريق الموصل إلى تهذيب النفوس وتنقيف العقول وبناء الأمم.

وقبل الخوض في صلب الموضوع لابد أن أبين مفهوم التربية لغة واصطلاحا.

#### 1 - مفهوم التربية:

##### أ. التربية لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: ربا يربو بمعنى زاد ونما<sup>1</sup> وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾<sup>2</sup> أي نمت وازدادت.

##### ب. التربية اصطلاحا:

يعد مصطلح التربية من أكثر المصطلحات اتساعا وشمولا ونجد له تعريفات عديدة من بينها ما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا، أن التربية هي تبليغ الشيء كماله، أوهي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا تقول: ربيت الولد إذا قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية حتى يصبح قادرا على مسايرة الطبيعة و الحياة وتعمل على إستعداد نفسه وإستعداد الناس ، كما تعد التربية ظاهرة إجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب تقديم عبد الله على الكبير، دار المعارف، القاهرة، (ب ط )، (ب ت )، ص 1546.

<sup>2</sup> سورة الحج : الآية 5.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

وتطورها<sup>1</sup>، وهي مسار تقوم على تطور عدة فضائل تطورا تدريجيا بالتدريب وعلى تجويدها وابتقانها<sup>2</sup>.

إن التربية هي عملية شاملة وكاملة، كما أنها تضبط الفرد من الناحية العقلية والنفسية وحتى السلوكية وطريقة تفكيره واعداده للحياة المستقبلية.

### 2- التربية عند مسكويه:

ولأن التربية لم تأتي من العدم ، بل هي وعاء وأساليب وإجراءات ينتقل بها تراث أمة من جيل إلى جيل، من الأجداد إلى الأحفاد ومن الآباء إلى الأبناء، وكان "ابن مسكويه" من بين أهم الفلاسفة والمفكرين الذين خلفوا تراثا تربويا، فهو أكد على أهمية تربية النشئ -الطفل- وطالب بوضع مناهج متعددة لأن المناهج لها التأثير القوي على شخصية المتعلم، كما نجده أيضا يصر على عامل الدين الإسلامي في ضبط أخلاق الطفل لأن كل ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أخلاق، فإنها لصالح الإنسان، فهي لا تقتصر على الجانب النظري المتمثل في المواعظ والخطب، بل أوجدت من المجالات، والعلاقات البشرية المتنوعة.

وعليه فإن لممارسة كل هذه الأخلاق والآداب المختلفة ، يقول مسكويه: >> فمن إتفق له في الصبا أن يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين، ثم ينظر في الحساب والهندسة ... ثم يتدرج حتى يبلغ إلى أقصى مرتبة الإنسان فهو السعيد الكامل<<<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، مادة التربية، ص 266 .

<sup>2</sup> اندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، ج1، مادة التربية، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2008، ص322.

<sup>3</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 42.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

يؤكد مسكويه بأن هناك خصائص وفوارق فردية لا بد على المعلم التعرف عليها وكذلك بمدى تفاوت مراتب الناس، في قبول الأخلاق الفاضلة فنجد آخرون قالوا بأننا: >>مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعا أو بطيئا <<<sup>1</sup>.

والى مثل هذا الرأي ينحاز إليه ابن مسكويه فهو يرى بأن أخلاق الإنسان قابلة للتغير إما بسرعة أو ببطئ، والواقع يشهد ذلك لأن انتقال الصبي من حال إلى حال فتغيره يكون تبعا للتربية التي يتلقاها من طرف والديه وما تقدمه البيئة التي تحيطه، وذلك يقول ابن مسكويه أن: >>الإنسان في طفولته محتاج إلى سياسة الوالدين، ثم إلى الشريعة الإلهية والدين القيم حتى تهذبه وتقومه، ثم إلى الحكمة البالغة لتتولى تدبيره إلى آخر عمر <<<sup>2</sup>.

إن الإنسان مهما كانت طباعه شريرة إلا أنه يقبل التأديب وينتقل من القبيح إلى الحسن لأن الأخلاق تكتسب بالتعليم والنصح.

وابن مسكويه في عرض رأيه حول قبول الأخلاق للتغيير لم يأخذ بالأراء الفلسفية القديمة التي تقر بأن الإنسان شرير بطبعه مفطور على فعل الشرور، وأن الخلق طبع لا يمكن تغييره، كما أنه قد انتقد الرواقيون الذين أكدوا على أن الناس حلقوا أحيارا بالطبع وأن البيئة لها التأثير الكبير في سلوكهم فيتحول بعضهم إلى الشر.

ثم إنتقل إلى نقد رأي "جالينوس" الذي يرى بأن هناك فئة من الناس خيرين بالطبع لا يكتسبون صفة الشر وهناك فئة أخرى أشرارا بالطبع لا ينتقلون للخير وهم كثيرون أما المتوسطون بين هذين فهم ينتقلون للشر أو الخير حسب الظروف المحيطة به.

كما نجد ابن مسكويه يطلق على التربية عدة تسميات من بينها التأديب والتهذيب والسياسة والتقويم كما أنها قابلة هي كذلك للتغيير، حيث يقول: >> الشريعة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى

<sup>1</sup> نفسه، ص 26.

<sup>2</sup> أنظر مصطفى عشوى: الإنسان والكمال في فكر مسكويه، ص 26.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

السعادة الأنسية للفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين أخذهم بها ويسائر الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضروب إذا دعت إليه الحاجة والتوبيخات... مما يميلون إليه من الراحة أو يحذرونه من العقوبات حتى إذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمان كثيرة أمكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليداً<sup>1</sup>.

فمن خلال قوله هذا فهو يوفق بين الشريعة والحكمة لأن الشريعة تضبط أفعال الإنسان بأفعال خيرة نافعة فهي تأهل نفسية الفرد لقبول الحكمة بجزئها النظري والعملية وتحقيق الفضائل فإذا بلغ الإنسان إلى هذين الجزئين فإنه سعد السعادة التامة والكاملة.

### أ. المراحل التي يمر بها الطفل وكيفية تهذيبه:

على غرار ما تقدم وما أكد عليه مسكويه على الدور الكبير الذي تلعبه الشريعة في تركية النفوس. فمسكويه قبل أن يحدد الأخلاق الواجب أن يتحلى بها الصبي فهو يتعرض كعادته بدراسة النفس عند الطفل وما فيها من ملكات وهو يرى أن نفس الطفل حلقة فاصلة بين الحيوان والإنسان وهي في بدايتها ساذجة من غير نقش لقوله: >> إن نفس الصبي ساذجة لم تنقش بعد بصورة، وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء إلى شيء<sup>2</sup>.

وبعد هذا فإن أولى القوى التي تنشأ في نفسه هي قوة الإحساس باللذة والحلم، وتتطور هذه الإحساسات وتتعدد حتى تتشكل في الأخير على شكل القوة البهيمية المعروفة.

ثم تبدأ تظهر القوة الغضبية وهذا حتى يحمي الطفل نفسه من الخطر وظاهرة البكاء والصراخ هي من الوسائل الهامة التي تستعملها القوة الغضبية لحفظ بقاء الطفل، فتستجيب الأم مثلاً لصراخ طفلها وتلبي طلباته، يرى مسكويه في هذا الصدد بأن: >> أول ما يتكون هي القوة التي تشتاق بها إلى الغذاء الذي هو سبب كونه حياً، فيتحرك بالطبع إلى اللبن

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص29.

<sup>2</sup> نقلاً عن: زكي مبارك الأخلاق عند العزالي، كلمات عربية للترجمة والنشر، (ب ط )، القاهرة، (ب ت ) ص 80.

## الفصل الأول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

يلتمسه من الثدي الذي هو معدته من غير تعليم ولا توقيف ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله الذي يدل به على اللذة والأذى... ثم تظهر فيه قوة الغضب الذي يشتاق بها إلى دفع مايؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منافعه<sup>1</sup>.

ثم تبدأ قوة العقل المميزة للإنسان وأولى بذوره هي الحياء التي تلاحظ في سلوك الطفل يعرف مسكويه الحياء: >> هو الخوف من ظهور شيء قبيح منه<sup>2</sup>.

### ب. حياة الفضيلة عند الطفل: لها شرطان

✓ شرط نفسي : يتمثل في الإنطباع على الخير بالسلفية بظهور الحياء وأنه من أول منازل النجباء والإطراق إلى الأرض ، وأما من كان وقحا بطبعه كان مثله كالخنزير الوحشي لا يطعم في رياضة لأن نفسه العاقلة في خدمة البهيمة ، لكن هناك من الأطفال لهم سيرة وقحة وهذا بسبب الظروف السيئة التي يعيش فيها هؤلاء الأطفال لكن طبعهم ليس كذلك بل صدر عنهم هذا السلوك السيئ بسبب تطبع في نفوسهم وهؤلاء بإمكاننا تعويدهم على حياة الفضيلة.

✓ الشرط الاجتماعي: ألا تعود الطفل معاشرة رفاقا السوء خوفا من تطبع فيه أخلاق الشر وفي المقابل تعودهم على معاشرة الأفاضل وكذلك نحاول من حين إلى آخر إبعاد الأطفال عن أسرتهن حتى يعتاد نوعه من الخشونة والجفاء.

وهذه الحياة بشرطها النفسي والاجتماعي تساعد على تطبيع الفضيلة في نفس الصبي، وذلك من أجل ضمان حياة فاضلة لا بد له من:

1. فضائل الجسد : وتتعلق بالغذاء ، الحركة ، الراحة

✓ الغذاء: يجب أن تعود الطفل ألا يأكل حتى يجوع، ويأكل القدر الضروري ونعوده أن الأكل ليس بمتعة بل هو دواء للجسم.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 47.

<sup>2</sup> نفسه، ص 48.

## الفصل الأول: \_\_\_\_\_ الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية

✓ **الحركة:** الحركة الرياضية وهي الفضيلة الجسدية الثانية وهدف الرياضة هو إبعاد الكسل يقول: < > ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود أضرارها<><sup>1</sup>

✓ **الراحة:** والجسم هذا محتاج إلى الراحة لكن مسكويه لا ينسى أن يضع قانونا للراحة يمنع به من أن تكون الراحة سببا في نشوء رذائل في بدن الطفل.  
2. فضائل النفس:

✓ **حب الكرامة:** أن لا يحط الطفل من نفسه بسبب مادي بسيط ولتكوين عادة الكرامة يجب أن نشكل أمامه أناس ترفعوا بنفوسهم عن طلب المال ونمدح هؤلاء أمامه ونمدحه حين يقوم بسلوك كريم، وتنممه إذا خالف هذا الفعل.

✓ **الإعتماد على النفس:** فهو طريق إلى الفوز والنجاح لا بد على الطفل أن يتحلى بها وعدم الإتكال على الغير في الوصول إلى مصالحه وأهدافه.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 51.

## الفصل الثاني :



### الاسس الفكرية العامة في فلسفة الغزالي الاخلاقية

المبحث الاول: نظرية النفس عند الغزالي

المبحث الثاني: الفلسفة الخلقية عند الغزالي

المبحث الثالث: التربية الروحية عند الغزالي

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

### المبحث الأول: نظرية النفس عند الغزالي

#### 1. مفهوم النفس:

إن فكرة كيفية تحديد ماهية النفس، كانت لها صدى واسع في الفلسفات القديمة منها والحديثة، والتي قابلتها بعدة أفكار وأراء متعارضة ومتضاربة، فهناك من الفلاسفة من يرى أن النفس لها صفة عرضية، وأنها جزء من أجزاء البدن، في حين هناك من أثبت جوهريتها الروحانية، فالغزالي\* هو الآخر خاص في هذا الموضوع، أي ماهية النفس، حيث يرى أن النفس جوهر روحاني لا تشوبه أية شائبة من شوائب المادة، أي أن النفس ليست بعرض ولا مادة تتغير وتتفكك إلى أجزاء، وفي هذا يقول الغزالي: >> النفس لو كانت جسما فلا يخلو إما أن تكون حالة في البدن أو خارجة البدن، فإن كانت خارجة البدن فكيف تؤثر وتصرف في هذا الجسم وكيف يكون قوام البدن بها..... وإن كانت حالة بجميع البدن فكان ينبغي إذا قطع منه طرف أن تنتقص بذبول الأعضاء ، وهذا كله محال..... وإن كانت حالة في بعض البدن فذلك البعض منقسم إما بالفعل أو بالعرض، فينبغي أن تنقسم النفس إلى أن تنتهي بالأقسام إلى أقل شيء وأحقره<sup>1</sup>.

لذا تعد النفس جوهرية من ناحية حقيقتها، فهي بعيدة بماهيتها الجوهرية كل البعد عن عوارض الجسم، فالنفس عبر مراحل حياة الإنسان لا تتبدل ولا تتغير، أو تنتقص فهي تبقى كما هي تحافظ على جوهريتها، أما التبدل والتغير من شكل إلى شكل آخر، فهذه ميزة وصفة يتصف بها الجسد، فمثلا عندما يولد الطفل، فإن في مرحلته الأولى يكون عاجز على أن يمشي، لكن بعد سنة يتجاوز تلك المرحلة إلى أن يصبح يمشي، ثم بعد سنتين يتعلم ويمر على المشي، ويتحكم في توازنه لكي لا يسقط، وبعد ذلك ينتقل من سن الطفولة إلى سن المراهقة حيث تظهر عليه تغيرات فيزيولوجية بالنسبة لأعضائه، وبعدها يصبح كهل، ثم

\*الغزالي: (450هـ - 505هـ) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الشافعي الطوسي ولد في مدينة

طوس في خراسان وهو عالم وفقه و متصوف إسلامي لقب بحجة الإسلام من أشهر مؤلفاته "إحياء علوم الدين". أنظر

http://www. Mawhapon.net 2018/04/16 على 15:20.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، شركة الشهاب، الجزائر، (ب ط)، 1989م، ص 32- 33.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

شيخ، وهكذا دواليك، أي أن الجسد دائما في تغيير وسيرورة، من شكل إلى شكل آخر، وفي هذا يقول الغزالي >> نفسك منذ كنت لم تتبدل، ومعلوم أن البدن وصفات البدن كلها تتبدل<sup>1</sup>.

### 2. قوى النفس:

إن النفس الإنسانية حسبما يرى الغزالي تتعدد حسب قواها، فمن خلال تلك العلاقة الموجودة بين النفس و البدن، و التي تقوم على فكرة التدبير، والتصرف، والتعقل تظهر قوى النفس الإنسانية، فمنها: القوة الناطقة أي قوة التخيل، والقوة الشهوية، أي قوة الشهوة، والقوة الغضبية، أي قوة الغضب فإن لكل قوة من هذه القوى الثلاث وظائف تقوم بها اتجاه الجسد، فعن طريق تلك الوظائف يكتسب الفرد عدة أفعال، ويتصف بصفات أخلاقية تميزه عن باقي الأفراد الآخرين، ولهذا فيما تتمثل وظيفة القوة الناطقة؟

#### 2.1. القوة الناطقة:

هذه القوة الناطقة يتميز بها الإنسان عن باقي الكائنات الحية، فوظيفتها تتمثل في طلب المعرفة، وذلك بواسطة مبادئ العقل الذي يكشف لها حقائق الأمور، وفي هذا يقول الغزالي عن قوة التخيل >> فإن الأذهان كثيرا ما تزيج عن الجادة، فترى الخطأ صواب، والصواب خطأ، ولهذا قيل "أرنا الحق حقا وأرزقنا أتباعه"، والتدبير أن لا يعتمد عليها ما لم يزنها بالقوانين المنطقية<sup>2</sup>.

يعني ذلك أنه لابد لقوة التخيل الاستعانة بما يوجبه لها العقل السليم من قوانين منظمة، وأيضا ما يمليه الشرع، فعندما يستوي حال الإنسان على المنهج الشرعي بالتقوى و الإيمان القوي عمليا، وعقليا يستقيم حينئذ حال القوة الناطقة، أي قوة الخيال، ويصبح ذا حكمة يميز بها بين الصواب والخطأ، والقبيح والحسن، فبالتالي يتوصل إلى تحقيق سعادته

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 33 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 77 - 78.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

الدينوية والأخروية، ويكون منزلا للملائكة، لذا قال الغزالي: >>فمن ذلك ما يناسب الروحانيين من الملائكة، ويكون مهبطهم إليه ونزولهم عليه، وظهورهم له، وتأثيرهم فيه، وتمثلهم به<sup>1</sup>.

إذا تحققت لدى الإنسان تلك القوة الناطقة، وأصبحت لها دور هام وحسنا عقليا وعمليا يكون في علاقة مع الملائكة، حيث يتصف بصفاتهم، ويهتدي بهداية من الله عز وجل إلى الطريق الصحيح والقيوم، فهذا ما حدث خاصة في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى لا يبقادوا إلى ملذات الأنفس المفرطة، وفي هذا قال الله تعالى ﴿إِنَّ النَّبِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾<sup>2</sup>.

كما أن الغزالي يبين لنا أيضا هناك من الناس من تنتزل عليهم الشياطين، مثلا: كالحيلة، والخداع، والمكر، وفي تحقيق ملذات الأنفس المفرطة، فهذه الأمور تؤدي بالإنسان إلى الابتعاد عن عبادة الله وطاعته، وأيضا يضطرب حاله في مواجهة متطلبات الحياة الدينوية، فبالتالي يحدث الاعوجاج في حال الخيال، وعدم الاستقامة الخلقية، فيصبح منزلا للشياطين مطيع لهم ولا يستطيع التّعود عنهم، نظرا لعدم تسلمه بمبادئ الشرع والعقل، وفي هذا يقول الغزالي: >>ومن ذلك ما يناسب الشياطين من الأبالسة ويكون مهبطهم إليه وظهورهم له وتأثيرهم فيه وتمثلهم به<sup>3</sup>.

لذا ففوة التخيل تتفاوت بين أفراد الناس، فهناك من يحسن استعمالها وتوظيفها في جميع الأمور ومطالب الحياة، وهناك من يسيء استعمالها فيتوصل إلى غاية مذمومة، ويصبح يتصف بعدة صفات قبيحة أي مذمومة غاية الذم، لذا قال الغزالي: >>وحيثما كانت

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 79.

<sup>2</sup> سورة فصلت: الآية 30.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 79.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

إستقامة في حال الخيال كان منزل الملائكة، وحيثما كان إعوجاج في حال الخيال كان منزل الشياطين<sup>1</sup>.

إن قوة التخيل لا يمكن أن تؤدي وظيفتها على أحسن حال إلا إذا استعانت بقوى أخرى مثلا كقوة الشهوة، وذلك من أجل أن تكمل الإنسان وأن تكون لها دور في هذه الحياة الدنيوية، فما هي القوة الشهوية؟

### 2.2. القوة الشهوية:

كما أننا نعلم أننا لكل إنسان له شهوات، غير أنها فيها ما هو ضار، وما هو منفعي، فمثلا إذا لم تنظم هذه الشهوات، انطلاقا من معطيات العقل، وحدود الشرع فإنها تؤدي إلى غاية مذمومة، أي انحراف خلقي، يحيل بين الإنسان وخالقه، ويصبح في منزلة الشياطين، أما إذا كانت مطيعة بمبادئ العقل وحدود الشرع تكون غايتها أسوة حسنة منفعية، والمتمثلة في تحقيق عدة صفات حسنة أخلاقيا، كأن يتصف بصفات الملائكة، وفي هذا يرى الغزالي أن قوة الشهوة هي الأخرى تمثل إحدى قوى النفس الإنسانية، حيث يقول عنها: >> ولا يصير الإنسان خارجا من جملة البهائم و أسر الهوى إلا بإماتة الشهوات، أو بقهرها وقمعها إن لم يمكنه إماتته إياها فهي التي تضره و تغره وتعوقه وتصرفه عن طريق الآخرة وتثبطه، ومتى قمعها، أو أماتها صار الإنسان حرا نقيًا، بل إلهيا ربانيا فتقل حاجاته ويصير غنيا عما في يدي غيره وسخيا بما في يده ومحسنا في معاملاته<sup>2</sup>.

إن القوة الشهوية تتميز بخاصية عن القوى الأخرى الموجودة في الإنسان، حيث تتمثل في صعوبة إصلاحها، فإذا انحرفت عن الطريق الأخلاقي القويم والحسن، تبقى دائما معرقة للإنسان لبلوغ السعادة الدنيوية والأخروية نظرا لمفاسدها ومطامعها غير منتظمة بحكمة العقل وحدود الشرع، غير أنه لا يمكن لنا أن نلغي تماما دور هذه الشهوة في حياتنا اليومية فإذا تصورنا عدم وجودها في الإنسان لأضطرب ولاختلال نظام الدين والدنيا في الشهوة، أي

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 79.

<sup>2</sup> نفسه، ص 80.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

شهوتي البطن والفرج إذا انتظمت واعتدلت في حياة الإنسان تحقق غاية حسنة أخلاقيا، فبالتالي يتوصل الإنسان إلى مرضاة الله، لأن سبيل بلوغ إلى الدار الآخرة هي العبادة الحسنة أخلاقيا، كما أنه لا عبادة إلا بالحياة الدنيا المنتظمة عقلا وشرعا، والتي تشمل على المعارف العقلية.

والم لذات، والآلام النفسية المنفعية وذلك قصد مسابرة متطلبات الحياة يرى الغزالي أن القوة الشهوية في الإنسان تقوم على حكمتين عظيمتين حيث يقول: >إحداهما: إبقاء الشخص بالغذاء والنوع بالحرث فانهما ضروريتان في الوجود بحكم إجراء الله سنته بمشيئة الله الأزلية التي لا يجد لها تبديلا ولا تحويلا. والثانية: ترغيب الخلق في السعادات الأخروية فإنهم ما لم يحسوا بهذه اللذات والآلام لم يرغبوا في الجنة ولم يحذروا النار ولو وعدوا بما لا عين رأت ولا أذان سمعت ولا خطر على قلب بشر لما أثر ذلك بمجردة في نفوسهم<sup>1</sup>.

كما أن الإنسان لا يختصر جسده على الشهوات ، بل يتصف أيضا بصفات غضبية، فالشهووات والغضب موجودان في الإنسان راسخان فيه ولهذا ففيما تكمن وظيفة القوة الغضبية.

### 2.3. القوة الغضبية

يعد الغضب صفة أساسية، وضرورية في الإنسان، حيث يحركها القلب من أجل الدفاع وحماية الجسم من عدة أضرار ومهالك، والتي يعترضها الإنسان في حياته سواء كانت تخص ذاته أو تخص عرضه، أو ماله، أو جاهه.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: ميزان العمل. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ب.ط.)، (1983)، ص59.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

وفي هذا يقول الغزالي عن قوة الغضب: >> شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئدة، وإنها المستكنة في ضمن الفؤاد إستكنان النار تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد<sup>1</sup>.

إن أي إنسان في هذا الوجود منذ ولادته، إلا ومعه تلك الصفة الغضبية أي مزود بها، موجودة فيه بالفطرة، كما أن غضب الإنسان عبارة عن انفعال قوي وشديد الثوران، مما يؤدي به إلى الاضطراب في أعصاب وأعضاء الجسم وتغيير ملامحه، وهذا ما شبهه الغزالي بنار الله المحرقة عند غضبها على القوم الكافرين، حيث تزداد حرارتها أكثر فأكثر.

إن قوة الغضب إذا لم نسيطر عليها بقوة العقل القويمة قصد توجيهها وجهة صحيحة، فإنها تقودنا إلى نتيجة وخيمة ومدمومة، فهناك من الناس من يتغلب عليهم الشيطان، وذلك أثناء غضبهم وانفعالاتهم الشديدة، حيث لا يستطيعون أن يتحكموا في أعضائهم وأعصابهم، مما يدفعهم إلى القيام بأعماله أفعاله لا يتقبلها الشرع ولا العقل، حيث يقول الغزالي في هذا: >> الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان الرجيم اللعين، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان<sup>2</sup>.

إن لصفة الغضب في بعض الأحيان نتائج غير حسنة أخلاقيا، فعلى سبيل المثال الحسد، والحقد، وعدة أخلاق أخرى مدمومة منبعها، ومنشؤها القلب الضعيف سلطان الهوى ومطالبه، المفرطة ولكي نواجه ذلك لابد من إصلاح تلك المضغة - القلب - انطلاقا من معطيات العقل الحسنة، ومبادئ الشرع، وذلك من أجل اعتدال وتوازن خلق الإنسان، ولبلوغ صفة وحالة الاعتدال الخلقي الحسن يقول الغزالي: >> ومعيار الاعتدال العقل والشرع<sup>3</sup>.

نخلص في الأخير أن ما لخصه الغزالي حول قوى النفس الإنسانية قوة التخيل، وقوة الشهوة، وقوة الغضب، غير أن هذه القوى أثناء علاقتها مع الجسد تظهر عنها عدة صفات

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 82.

<sup>2</sup> نفسه: ص 82.

<sup>3</sup> نفسه: ص 82.

## الفصل الثاني:— الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

---

خلقية، فمنها ما هو محمود يخص جانب الفضائل، ومنها ما هو مذموم يتمثل في عدة رذائل، فالفضائل تكون دائما وسط بين رذيلتين، هذا يعني أن قوى النفس الإنسانية تكتنفها رذائل، وذلك ناتج عن إفراط وتفريط في تلك الفضائل والتي سنذكرها فيما بعد.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

### المبحث الثاني: الفلسفة الخلقية عند الغزالي

#### 1. مفهوم الخلق

إن طبيعة الإنسان الخلقية تسعى دائما لبلوغ الخلق الحسن كان فيه بالطبع و الفطرة، أو بتطلع أي تقليد واكتساب أفعال الناس الحسنة والتشبه بالصفات الخلقية الحسنة، غير أنه إذا تخلى عن ذلك الخلق الحسن باتجاه منحرف فإنه لا محال أن ينغمس في جملة من الصفات والأفعال المذمومة ذات أخلاق سيئة فإن الغزالي يعتبر العمل على إزالة الخلق السيئ وتثبيت الخلق الحسن من المهام الرئيسية والأولى للمربين، ولقد تعرض إلى تعريف الأخلاق في مواضع عدة، فيعطي لمعنى الخلق مصطلحات متنوعة منها: «.....فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة، ويسر، من غير حاجة إلى فكر و روية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا و شرعا، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، و إن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا....»<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا التعريف نجد أن الغزالي وضع مقياسا أو ضابطا أخلاقيا هو الشرع والعقل، حيث أن التقرب منها يعتبر كمالا واستقامة، والبعد عنها يعتبر نقصا وانحطاطا، كما نجده أيضا يميز بين الأخلاق السيئة والأخلاق الحسنة، فينظر إلى الأخلاق نظرة عميقة، فالسلوك عنده نتيجة و ليس مصدرا، فلا دخل للمرء في سلوكه إلا من حيث تغيير الصفات الباطنة، وعلى هذا فإن اكتساب الأخلاق عنده هو عملية تكلفية لحمل النفس على مزاوله خلق معين، ويعبر عن هذا بقوله: «.....و أما حسن الخلق: بأن يزيل جميع العادات السيئة، التي عرف الشرع تفصيلها، ويجعلها بحيث يبغضها، فيتجنبها كما يتجنب المستقذرات. وأن يتعود العادات الحسنة ويشتاق إليها فيؤثرها، ويتنعم بها»<sup>2</sup>. ومن خلال

<sup>1</sup> الغزالي: إحياء علوم الدين، تح بدوي بطانة، ج3، مكتبة ومطبعة كرياضة فونترا سماراغ، ص 52.

<sup>2</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط1، 1964م، ص255.

## الفصل الثاني: — الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

هذا القول نجد أن الغزالي يؤكد ضرورة ترسيخ العادات الحسنة لدى الطفل وإبعاد العادات السيئة، بحيث يجعله لا يصدر إلا الأفعال المحمودة عقلا وشرعا.

والغزالي لا يقف عند هذا التعريف فقط، بل يزيدنا توضيحا أكثر دقة وتبيانا، إذا يعرف حسن الخلق الذي يعتبره كاملا بقوله: «فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنية، وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان، لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسب حصل حسن الخلق وهو قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث»<sup>1</sup>، كما أن الخلق عند الغزالي ليس هو فعل جميل أو قبيح، ولا القدرة على الجميل أو القبيح، ولا التمييز بينهما، وإنما هو هيئة بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل<sup>2</sup>.

فالخلق عند الغزالي هو تكليف النفس وردّها إلى ما رسمته الشريعة، والإقتداء بسيرة الأنبياء والصديقين، فيرى أن: >>الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين وثمره مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين. والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث أبعده عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين<<<sup>3</sup>.

ونستنتج مما تقدم أن الغزالي بين لنا حقيقة الخلق وبما يكون حسنا أو سيئا، فيحصل حسن الخلق عند الطفل إذا سلك وفق ما يقضيه الشرع والعقل وكلما ابتعد عنهما حصل سوء الخلق.

<sup>1</sup> الغزالي: إحياء علوم الدين، تح بدوي بطانة، ج3، ص53.

<sup>2</sup> نفسه: ص53.

<sup>3</sup> نفسه: ص49.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

### 2. السعادة وسبل تحقيقها.

إذا كان يوجد شيء يمكن أن يتفق الناس جميعا عليه، فإن هذا الشيء هو السعادة باعتبارها الهدف النهائي للإنسان، الذي يسعى دائما لتحقيقه وبلوغه، لذا يقول الغزالي: >> لا مقصود سوى السعادة، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلة بقدر غايته <<<sup>1</sup>.

إن السعادة يطمح إليها جميع الناس من خلال مطالبهم ومشاكلهم الحياتية، ولكن كيف يمكن لنا أن نصل إلى السعادة؟ هنا اختلف الناس اختلافا شاسعا. كما أن عدة فلاسفة خاضوا في هذه المسألة واعتبروها مسألة صعبة التحقيق والمنال نظرا للمعنى الحقيقي للسعادة الذي يفوق كل اعتبارات مطالب الحياة المفرطة وغير منتظمة.

غير أن الغزالي يبين لنا كيف اختلف البشر حول مفهوم السعادة، أي لكل واحد ورأيه الخاص به، فهناك من ظنوا أن: >> السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز... وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمرودة... وطائفة ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس... كلهم قد أضلوا وأضلوا عن سواء السبيل <<<sup>2</sup>.

يعني هذا أن السعادة ليست سوى تحقيق مطالب الحياة البيولوجية من مسكن ومطعم وملبس، وبعض الأمور الأخرى الدنيوية، بل تتعدى ذلك إلى مطالب أخرى يقتدي بها الإنسان في حياته، والمتمثلة في تحقيق تلك الفضائل الحسنة قصد خلق حسن، فإذا لم يتسلح بهذه الفضائل الخلقية الحسنة، يبقى الإنسان دائما منغمس في الملذات الشهوانية والآلام الانفعالية التي لا فائدة منها، والتي بدورها تعيقه عن الطريق الصحيح، والقويم فبالتالي يبتعد عن عبادة الله وطاعته، ولا تتحقق له السعادة الحقة لذا فمفهوم السعادة عند الغزالي هي تلك السعادة البعيدة والمترفعة عن مشاغل وعلائق الدنيا المفرطة، وغير خاضعة

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م، ص 53.

<sup>2</sup> نفسه، ص49.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

لإشارة العقل والشرع، فهذا يعني أنه يميز السعادة الحقيقية عن السعادة الدنيوية، فهذه الأخيرة عند بعض الناس هي سعادة نظرا لما يحققونه في هذه الدنيا من مطالب والرغبات، إن هذا الاختلاف حول تحديد مفهوم السعادة، يستدعي منا أن نبين ذلك التمييز الموجود بين السعادتين الدنيوية والأخروية، فيا ترى فيما يكمن مفهوم السعادة الدنيوية؟

أ- السعادة الدنيوية :

إن بعض الناس يرون من خلال حياتهم الدنيوية، والتي تربطهم بعلاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية...تمثل لديهم سعادة وذلك نتيجة ما جنوه من منافع ومصالح تخدمهم في حياتهم الدنيوية. غير أن هناك من الأفراد من يستعمل تلك الحاجيات سواء كانت بيولوجية أو أخلاقية بصورة عمياء غير منتظمة، أي تحقيقها بزيادة عن القدر الواجب، أو بطريقة أخرى كأن يجمعها كلها، فهؤلاء يرون أنفسهم توصلت وحقت السعادة المطلوبة، لكن هذه السعادة في نظر الغزالي سعادة آنية غير أخلاقية، وذلك نتيجة الإفراط والتفريط في تلك المطالب والرغبات الدنيوية، فبالتالي تتجه أخلاقهم اتجاها منحرفا وسيئ، ومذموم فينجم عن ذلك كثرة الهموم والمشاكل الدنيوية. لذا يقول الغزالي عن الانحراف الخلقى ومتا ينجم عنه >>فتتشعب به الهموم.ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه<<<sup>1</sup>.

إن الإنسان في بعض الأحيان يتيه في ملذات الأنفس التي يعتبرها حسنة، والأكثر من ذلك تمثل له السعادة بعينها، في حين يعتبرها الغزالي ليست بسعادة، بل أضلوا عن الطريق الصحيح، فالسعادة الحقيقية تكمن في تنظيم مطالب ورغبات الإنسان، أي ليقمعها كلية ولا يحققها بزيادة عن القدر الواجب، وفي هذا يقول الغزالي >>وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يجمع الشهوات بالكلية، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد، وأما الشهوات فيجمع منها ما يخرج

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3، ص 244 .

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل، ولا يترك كل شيء من الدنيا<sup>1</sup>.

تعد السعادة الدنيوية لدى الغزالي، ليست بسعادة حقيقية، لأنها تمثل أخلاق مذمومة، فهذه الأخيرة تؤثر في سلوك الفرد، حيث يصبح سلوكه غير معتدل، وذلك راجع إلى الإفراط والتفريط في تلك الفضائل الحسنة، مما يصعب بلوغ السعادة الأخروية، وفي هذا يقول الغزالي عن السعادة الأخروية >>وما عداها سميت سعادة إما مجازا أو غلطا كالسعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة<sup>2</sup>.

فيا ترى ما هي السعادة الأخروية عند الغزالي؟ وعلى أي أساس تقوم عليه؟  
فإن وجدت هذه السعادة الحقيقية، ففيما تكمن غايتها؟

### ب - السعادة الأخروية:

تكمن السعادة حسبما لخصه الغزالي ليست في تحقيق مطالب الحياة بصورة مفرطة وعمياء، أي غير منتظمة بسلطان العقل والشرع، وإنما هي التي تقوم على تلك الفضائل الحسنة المعتدلة فيما بينها بالتوازن، فاعتدال كل من الحكمة والشجاعة والعفة يستوي حال الفرد، ويصبح ذا خلق محمود، حيث يرتقي بذلك الخلق الحسن من جهة إلى مواجهة مشاغل ومطالب الحياة على أحسن وجه، ومن جهة أخرى يتعلق قلبه بخالقه بالطاعة والعبادة. وفي هذا يقول الغزالي: >>فياخذ من القوة ما يقوي به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبر، ومن الكسوة كذلك، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن. أقبل على الله تعالى بكنة همته واشتغل بالذكر، والفكر طول العمر، وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يتجاوز حدود الورع والتقوى<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3، ص 244.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص 69.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3، ص 244.

## الفصل الثاني:.. الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

إن الغزالي انطلق من الواقع الإنساني المعاش، والذي يتمثل في جملة من الرغبات والمطالب المنتظمة. فبواسطة تلك الفضائل الحسنة أخلاقيا نسمو إلى درجات العلى من الطمأنينة والسعادة الحقيقية. فهذه الأخيرة تقربنا من الله عز وجل، ولهذا فالسعادة الحقيقية لكي تكمل وتتقرب من الله وملكوته، لابد من أسس متينة ترتكز عليها، قصد مقاومة علائق الدنيا المعيقة، والتي تتمثل في المطالب والرغبات النفسية والبدنية والاجتماعية فهذه الأسس هي فضائل قوى النفس الإنسانية، فالفضائل تمثل همزة وصل توحد العلاقة ما بين الإنسان وخالقه، فهنا تكمن حقيقة السعادة الأخروية وفي هذا يقول الغزالي عن كيفية تحقيق السعادة الأخروية: >إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة ألا دار الخلود والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وإن ذلك لا يتم إلا بالأعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق<sup>1</sup>.

إن النفس الإنسانية إذا لم تخضع لإشارة العقل والشرع في جميع مطالبها ورغباتها، تؤدي إلى نتيجة وخيمة مفادها سلوك خلقي مذموم، لأن النفس إذا تغلب عليها الهوى يحدث الاوجاج في سلوك الإنسان، فبالتالي ينعدم الاعتدال والتوازن الخلقي، لهذا رفض الغزالي السعادة الدنيوية الآنية، ليؤكد على وجود سعادة أخروية تظم كل من واقع الإنسان الذي يتمثل في تلك الفضائل الأخلاقية، والعالم الإلهي الرباني قصد التقرب من الله، وتعلق به طاعة وعبادة لذا يجمل لنا الغزالي أنواع السعادة في خمسة أنواع: >الأول: السعادة الأخروية التي هي بقاء لا غم فيه. وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر معه يخالطه ولن يتوصل إليه إلا بالله، ولا يكمل إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل النفسية...العقل وكما له العلم، والعفة وكما لها الورع، والشجاعة وكما لها المجاهدة والعدالة وكما لها الإنصاف...وإنما تتكامل هذه الفضائل بالنوع الثالث وهي الفضائل البدنية...الصحة والقوة والجمال والطول والعمر ويتممها النوع الرابع، وهي الفضائل المطيفة...المال والأهل والعزم

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، دار التونسية للنشر، ط 2 (ب ت)، ص 83.

## الفصل الثاني:.. الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

وكرم العشييرة... ولا يتم الانتفاع بشيء من ذلك إلا بالنوع الخامس، وهي الفضائل التوفيقية... هداية الله ورشده وتسديده وتأبيده<sup>1</sup>.

إن ما لخصه الغزالي حول حقيقة السعادة الأخروية، وكيفية تحقيقها يكمن في ارتباط وتكامل تلك الفضائل فيما بينها، لأن بلوغ السعادة الأخروية هو نتاج تلك الصفات الحسنة أخلاقيا وما تضمنه من فضائل نفسية، وبدنية، ومطيفة، وتوفيقية، فكل هذه الفضائل خاضعة لأوامر العقل وحدود الشرع.

إن نظرة الغزالي للسعادة وكيفية تحقيقها صعبة المنال، والبلوغ نتيجة عدم تحقيق تلك الفضائل جملة واحدة. وكما نعلم أن أي فرد في المجتمع لا يستطيع أن يتوصل إلى تحقيق كل الفضائل الخمسة التي عددها لنا الغزالي لبلوغ السعادة الحقيقية. قد يحقق الإنسان بعضها والبعض الآخر لا يستطيع بلوغه.

غير أن هناك من اتصف وتحلى بهذه الفضائل النفسية والبدنية، والمطيفة والتوفيقية. فهؤلاء هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأيضا السالكين منهاجهم الصحيح، وفي هذا يقول عنهم الغزالي >>فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين، وما كانوا يتهبون ويهجرون الدنيا بكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بينهم ذلك قواما، وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى<sup>2</sup>.

من نتائج السعادة الأخروية في نظر الغزالي، أنها تشعر الإنسان السوي أخلاقيا بمحبة الله عز وجل. وذلك بعدما يتخلص قلب ذلك المحب من كل منافع الدنيا ومشاغها المفرطة وغير منتظمة.

إن هذه النظرة كثيرا ما نجدها عند أصحاب المتصوفة الذين تركوا مشاغل الدنيا وعلائقها واهتموا بالزهد والتقشف وكسر النفس بغية محبة الله، ولهذا يقول الغزالي: >>والسالك إلى الله تعالى يرى الجنة وهو في الدنيا والفردوس الأعلى معه في قلبه إن

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: ميزان العمل. ص 64-65.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص244.

## الفصل الثاني: — الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

أمكنه الوصول إليه، وإنما الوصول إليه بالتجرد عن علائق الدنيا والاكباب بجملة همته على التفكير في الأمور الإلهية<sup>1</sup>.

غير أن الذي تقوى بصيرته عقليا وعمليا، أي بالمحبة والإخلاص والسلوك الخلقي الحسن اتجاه خالقه، فإنه يجني ثمار سعادته الحقيقية والتمثلة في التقرب من الله أكثر فأكثر، ولهذا فقد: >> قالت العرب: أن محمدا عشق ربه. وهذه الحالة يتحققها بالذوق من سلك سبيلها<sup>2</sup>.

يعد الحب الإلهي عند الغزالي ليس ذلك الحب الخيالي المبني على الخرافات والبدع، ولا أيضا ذلك السلوك الخلقي المنحرف عن الطريق الصحيح بل هو ثمرة حقيقية للإيمان القوي والعميق عقليا وعمليا، والذي ينعكس أثره على تهذيب حياة الفرد أخلاقيا واجتماعيا. وفي هذا يقول الغزالي: >> أسعد الخلق حالا في الآخرة أقوام حبا لله تعالى<sup>3</sup>.

أن اعتدال فضائل قوى النفس الإنسانية، وتوازنها فيما بينها، لتمثل حقا صفة حسنة لشخصية الإنسان، حيث يصدر عنها محامد الأخلاق فالفضائل الخلقية إذا تحققت لدى الإنسان فإنه يستفيد بها لاكتمال شخصيته خاصة ويفيد بها مجتمعه عامة، حيث تظهر عدة علاقات تربط الفرد بالمجتمع، كالتعاون في ميادين العلم والمعرفة، وذلك قصد الإبداع والاختراع لما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيوية، وأيضا تظهر صفات التأخي والمحبة والإخلاص فيما بينهم... فهناك تكمن حقيقة تلك السعادة المستتيرة بنور العقل والشرع، ولهذا من خلال تلك العلاقة التي تربط الفرد بمجتمعه يتوصل الفرد إلى غاية اجتماعية حسنة ذات مبادئ وقيم أخلاقية، حيث يستفيد بها دنيويا، ويثاب عليها أخرويا.

<sup>1</sup> ابوحامد الغزالي: ميزان العمل، ص 15-16.

<sup>2</sup> ابوحامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 89.

<sup>3</sup> ابوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4، ص 333.

### 3- الفضائل والرذائل:

إن الفضائل والرذائل تتمثل في عدة صفات أخلاقية، فمنها الحميدة الحسنة، ومنها المذمومة غاية الذم، فهذه الصفات ناتجة عن قوى النفس في علاقتها مع الجسم. من خلال ما ذهب إليه الغزالي فيما يخص جانب الفضائل والرذائل، يتضح لنا انه يقر بان الإنسان اقرب بطبعه إلى الفضائل، لأنها مغروسة فيه بالفطرة، إما الرذائل فهي أمراض يكتسبها قلب الإنسان، وفي هذا يقول الغزالي >> الرذيلة التي هي مرض القلب<sup>1</sup>. غير أن هذه الرذائل تعالج عبر حياة الإنسان اليومية، فمثلاً: يعالج الرذيلة بأضدادها، يعالج الزنا بالزواج أو الصوم، أو يعالج مرض الكذب بالصدق...، فمعالجة هذه الرذائل تتم عن طريق إخضاعها للمجاهدة والرياضة قصد تركية النفس، وتهذيب الأخلاق لبلوغ الوسط الذهبي - الفضيلة- الذي نعبر عنه بالصراط المستقيم، أي اعتدال وتوازن وانتظام سلوك الفرد الخلفي.

يرى الغزالي أن القوى التي تتفاعل لتولد حسن الشخصية: فهي العقل والغضب والشهوة، والعدل ولكل قوة من هذه القوى فضيلتها الخاصة بها، يتضح لنا ذلك أكثر من خلال قوله: >>فالحكمة فضيلة القوة العقلية، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوية، والعدل عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب<sup>2</sup>.

إن لكل قوة من قوى النفس الإنسانية، إلا ولها فضيلة تمثل عدة صفات حميدة خلقياً، فبواسطتها يرتقي الإنسان إلى محامد الأخلاق، فيصبح ذا وزن مرموق أخلاقياً، وبالتالي يقتدي به نظراً لخلقته الحسن، ولها لا بد من تبين حقيقة ودور تلك الفضائل من خلال ما لخصه الغزالي فيما يخص فضائل قوى النفس الإنسانية، فيا ترى ما هي فضيلة القوة الناطقة، ودورها في حياة الإنسان؟ هل تبقى محافظة على صفة الاعتدال، أم تكتنفها رذيلتين.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص66.

<sup>2</sup> زكي مبارك: الاخلاق عند الغزالي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1924م، ص184.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

### أ- الحكمة:

تعد الحكمة فضيلة القوة الناطقة في الإنسان، فبواسطتها يهتدي إلى الطريق الصحيح القويم، وفي هذا قال الله تعالى: ﴿... وَفِي يَوْمِ نُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾<sup>1</sup>. إن للنفس الإنسانية جهتين تهتم بهما، من جهة تتلقى حقائق العلوم الكلية الضرورية والنظرية، لكي تتير طريق الإنسان بمعرفة شؤونه ومطالبه الدنيوية، لان هذه العلوم العقلية يقينية صادقة متأنية من الملا الأعلى الإلهي، فهذا الأخير ينير طريقها بفيض منه، كالعلم بالله وصفاته وملائكته... ومن جهة أخرى تختص في سياسة تدبير البدن، فهذه تمثل حكمة عملية خلقية، أي تهتم بالجانب العملي بالنسبة للجسد، كان تنظم حال الشهوة والغضب، وذلك قصد بلوغ غاية محمودة تتمثل في الخلق الحسن<sup>2</sup>.

من خلال هذا يعرف الغزالي الحكمة الخلقية بأنها: >> حالة وفضيلة للنفس العاقلة بها تسوس القوة الغضبية والشهوانية، وتقدر حركتها بالقدر الواجب في الانقباض والانبساط، وهي العلم بصواب الأفعال<sup>3</sup>.

لذا فالحكمة الخلقية تستمد معارفها من الحكمة العقلية النظرية الجزئيات، أي معطيات العقل، والمتمثلة في عدة أفكار معرفية كالإدراك والتخيل، فهذه المعارف العقلية تساعد النفس على معرفة مطالب البدن وانشغالاته الجزئية كالشهوات، أي شهوتي البطن والفرج، وأيضا ما يحتاجه من أحاسيس وانفعالات، وذلك من اجل أن تنظم حالة في أحسن نظام وتوجيهه توجيهها أخلاقيا محمود، ولهذا يقول الغزالي: >> والعقل العملي بواسطة البدن، وقوة التخيل يدرك جزئيات عالم البدن فيحركها بواجب الشرع فيتولد منها الأخلاق الجميلة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> صورة البقرة، الآية 269.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 85-86.

<sup>3</sup> الغزالي: ميزان العمل، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (ب ط)، 1963، ص 50.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 86.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

عن طريق الحكمة تحسن النفس تدبير البدن لما يحتاجه من مطالب ورغبات، إضافة إلى ذلك يتزن عقل الإنسان ويصبح ذا رأي سديد وقويم وصائب في مواجهة وتعامله مع أمور ومشاكل الحياة الدنيوية، لذا فالحكمة تساعد الإنسان في إدراك الصواب من الخطأ، والحسن من القبيح في جميع الأفعال، والأمور التي يواجهها، وذلك نتيجة اعتدال قوة العقل\* الحكمة في الإنسان، فعن طريق الاعتدال تصدر عدة صفات أخلاقية حميدة تساعد الإنسان على اكتمال شخصيته عقليا وعمليا، وفي هذا يبين لنا الغزالي ما ينتج عن فضيلة الحكمة من فضائل، فيقول: >يحصل حسن التدبير وجودة الذهن ثقبابة الرأي، وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس<<<sup>1</sup>.

إلا أن هذه الحكمة في بعض الأحيان يكتنفها الإفراط والتفريط تظهر عدة صفات مذمومة غاية الذم، لذا فرذيلتي فضيلة القوة الناطقة حسب الغزالي هما الخب والبله. يرى الغزالي أن الخب ينتج عن إفراط في الحكمة، بمعنى زيادتها عن القدر الواجب، كان تتعدى حدودها المشروعة لها بحدود الشرع ومبادئ العقل، لذا يقول عنه: >حالة يكون الإنسان بها ذا مكر وحيلة بإطلاق الغضبية والشهوية، لتتحرك إلى المطلوب حركة زائدة على قدر الواجب<<<sup>2</sup>

كما أن للخب صفات تحط من أخلاق الإنسان، وتهوى به في مهاوي الافك والزور، مثلا كان يتصف بالمكر، والحيلة، والخداع، وعدة صفات أخرى مذمومة، فبالتالي هذه الصفات المذمومة تبعد الإنسان عن بلوغه درجة الاعتدال والتوازن الخقي، والمتمثلة في فضائل قوى النفس الإنسانية، وأيضا يبقى من جهة خاضع ومطيع لدواعي الشياطين القبيحة، ومن جهة أخرى يتخلى عن عبادة الله وطاعته عقليا وعمليا، ولهذا يعدد لنا الغزالي الصفات المذمومة المندرجة تحت رذيلة الخب فمنها: >الجر بزة، والخداع والدهاء<<<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي، ص 183.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص86.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: احياء علوم الدين، ج3، ص59.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

أما البله فهو عكس الخب من ناحية ظهوره، فالبله ينجم عن طريق تفريط في الحكمة، أي نقصانها عن الاعتدال، مما يؤدي إلى قصور عن القدر الواجب بسبب نقص الغضب والشهوة، لذا يعرف الغزالي البله بأنه:

>> هو حالة للنفس تقصر بالغضبية والشهوية عن القدر الواجب<sup>1</sup>.

إن نتائج البله تعمل على تثبيط فكر الإنسان، ويصبح بطيء الفهم، وعدم التأقلم ومجابهة مستجدات الأحداث عقليا وعمليا، فهذه النتائج تتمثل في عدة صفات مذمومة، أي بمثابة الرذائل، فإذا اتصف بها الإنسان يكون خلقه قبيح.

كما أن للخب صفات قبيحة، أيضا بالنسبة للبله كذلك، لذا يوجز لنا الغزالي بعض الصفات المذمومة المندرجة تحت رذيلة البله فهي: >> الغمارة والحمق والجنون<sup>2</sup>

ما نستخلصه من هذا أن كلا الرذيلتين الخب والبله يعيقان طريق الإنسان لبلوغ الكمال الخلقى المحمود، ولهذا يجب على الإنسان أن لا يعتدي حدود فضيلة القوة الناطقة، سواء كان بالزيادة أو النقصان، وذلك من أجل تحقيق الوسط الذهبي (الفضيلة)، كما انه لا يمكن للإنسان أن يكتفي بفضيلة القوة الناطقة فقط في تدبير شؤونه، ولكي يستوي وينتظم حال الإنسان يجب أن نراعي فضيلة أخرى.

### ب - الشجاعة:

يرى الغزالي أن الشجاعة تمثل فضيلة القوة الغضبية في الإنسان حيث تمثل الخلق الحسن، فبواسطتها يستطيع الإنسان أن يحافظ على نفسه بالحماية والرعاية قصد دفع المضار، والمهالك التي يواجهها الإنسان في حياته. لذا يقول عن الشجاعة بأنها: >> هي

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 87.

<sup>2</sup> نفسه، ص 87.

## الفصل الثاني:— الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

فضيلة القوة الغضبية بكونها قوة الحمية، ومع قوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع في أقدامها وأحجامها<sup>1</sup>

إذا كانت قوة الغضب منقادة للعقل من ناحية تصرفاتها الفعلية تكون قد حققت فضيلتها والمتمثلة في الشجاعة. كما أن للشجاعة عدة صفات حسنة أخلاقيا، وذلك نتيجة إعتدالها، ولهذا يبين لنا الغزالي ما يصدر عن خلق الشجاعة من صفات حسنة، حيث يقول هي: >> الكرم، النجدة، والشهامة، وكسر النفس، والاحتمال، والحلم، والثبات وكظم الغيظ، والوقار، والتودد<sup>2</sup>.

غير أن خلق الإنسان إذا تعدى هذه الفضيلة أي الشجاعة، بالزيادة عن القدر الواجب، أي إفراط في الفضيلة ينجم عن ذلك ظهور رذيلة تتمثل في التهور، فالتهور حسبما لخصه الغزالي هو زيادة عن الإعتدال، أي إفراط في القوة الغضبية، ويتضح لنا ذلك أكثر من خلال تعريفه للتهور هو: >> الحالة التي بها يقدم الإنسان على الأمور الخطرة التي يجب في العقل الإحجام عنها<sup>3</sup>.

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن خلق التهور هو صفة مذمومة أشد الذم، لأنه يؤدي بالإنسان إلى الوقوع في عدة مخاطر ومشاكل، حيث يبقى يتخبط فيها، نظرا لعدم تحليه بروح العقل، لأن هذا الأخير يحد من هذه الرذيلة، وما تصبو إليه من صفات مذمومة، وذلك من أجل توجيه وتنظيم خلق الإنسان، من حالة الزيادة أي الإفراط إلى حالة الإعتدال والمتمثلة في فضيلة القوة الغضبية ( الشجاعة).

كما أن رذيلة التهور هي الأخرى تصدر عنها عدة صفات مذمومة، حيث يقول عنها الغزالي، فمنها: >> الصلف، والبذح، والإستشاطة، والتكبر، والتعجب<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>— أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص 50.

<sup>2</sup> زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، ص 183.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 87.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، تح بدوي بطانة، ج3، ص 53.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

أما إذا حدث تفريط بالنسبة لفضيلة القوة الغضبية، يعني نقصان وتقصير في خلق الشجاعة لدرجة الإنعدام، تظهر رذيلة متمثلة في الجبن.

لذا الجبن يمثل أيضا عند الغزالي خلق مذموم، فبدوره يعرقل قدرات الإنسان في مواجهة متطلبات الحياة الدنيوية، أي يصبح ذلك الشخص ذليل وجبان، حيث لا يقاوم، ولا يجابه عدوانه الخارجي الذي يعتدي عليه، أو على أهله، أو على ماله... فعن طريق هذا الخلق المذموم تظهر عدة صفات غير حسنة أخلاقيا، متمثلة حسب الغزالي في: **>>المهانة، والذلة، والجزع، والخساسة، وصغر النفس، والإنقباض، عن تناول الحق الواجب<sup>1</sup>.**

نخلص إلى نتيجة مفادها أن فضيلة القوة الغضبية هي الوسط الدقيق بين الرذيلتين، التهور والجبن، فوجود خلق الشجاعة بانتظام واعتدال، هو نتيجة خضوعها، وطاعتها لمبادئ العقل وحدود الشرع.

إن ما لخصه الغزالي فيما يخص فضائل قوى النفس الإنسانية، ما هو إلا لإثبات كيفية تحقيق ذلك الخلق الحسن المحمود،

### ج- العفة:

إن فضيلة القوة الشهوية -العفة- تعني عند الغزالي تلك الشهوة المنتظمة، والتي لها غاية حسنة، كما أن هذه الفضيلة -العفة- خاضعة بكل سهولة للقوة العقلية، لأن هذه الأخيرة تنير طريقها نحو الخلق الأصح والأفصح، ولها إذا انتظمت واعتدلت تلك الشهوة -شهوتي البطن والفرج- فإنها تمثل العفة، وفي هذا يعرف لنا الغزالي العفة بأنها: **>>فضيلة القوة الشهوية، وهي انقيادها على يسر وسهولة للقوة العقلية حتى يكون انقباضها وانبساطها بحسب إشاراتها<sup>2</sup>.**

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: احياء علوم الدين، تح بدوي بطانة، ج3، ص53.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص89.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

إن فضيلة القوة الشهوية تساعد الإنسان على توازن جسده، وذلك نتيجة توظيفها في أمور وأفعال حسنة أخلاقياً، والتخلي عن كل فعل مشين ومذموم، فهذا كله يكون تحت إشارة فضيلة القوة الناطقة -الحكمة- وذلك لكي يدرك ذلك أكثر، فإذا تحلى واتصف الإنسان بفضيلة القوة الشهوية يكون قد حقق مبتغاه، أي الخلق الحسن، الذي يقوم على تنظيم شهواته واعتدالها على أحسن حال، حيث يعطي لكل واحدة نصيبها الكافي بانتظام، فمثلاً شهوتي البطن والفرج ضروريان في حياة الإنسان، لذا وجب على الإنسان إن يحسن تنظيمهما، فبواسطتهما يساعده في نموه، وغذائه وتكاثره، وللحفاظ عليهما يجب إخضاعهما للعقل والشرع، حتى لا يؤثران على سلوك الفرد، والعمل على انحرافه عن الطريق الصحيح.

كما أن وجود للحكمة فضائل، وأيضاً للعفة فضائل هي الأخرى، فضائل العفة تتمثل في عدة صفات حسنة أخلاقياً، فبواسطة هذه الأخيرة يترفع خلق الإنسان عن الدنيا المذمومة غاية الذم، وفي هذا يبين لنا الغزالي أن الصفات التي تتدرج عن فضيلة القوة الشهوية هي: >> السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع <<<sup>1</sup>.

إن فضيلة القوة الشهوية حسب الغزالي هي الأخرى أيضاً يندرج تحتها رذيلتين، أي أن العفة وسط بين رذيلتين الشره والخمود، فهاتين الرذيلتين تظهران نتيجة إفراط وتفريط لفضيلة القوة الشهوية.

بالنسبة للشره هو ناتج عن إفراط في الشهوة، أي زيادتها عن القدر الواجب لها، كأن يفوق إعتدال الشهوة، وفي هذا يقول الغزالي عن الشره: >> هو إفراط الشهوة إلى المبالغة في اللذات التي تستقبحها القوة العقلية وتنتهي عنها <<<sup>2</sup>.

إن الشهوات غير المنتظمة تكون دائماً في صراع مع القوة العقلية لأن هذه الأخيرة تعمل دائماً على إنتظام تلك الشهوات، واعتدالها قصد غاية حسنة أخلاقياً.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: احياء علوم الدين، تح بدوي بطانة، ج 3، ص53.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص52.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

كما أن الشهوة لا تقتصر فقط على شهوة البطن والفرج، بل تتعدى ذلك إلى حب المال والرياسة، حيث يبقى ذلك الإنسان بنظر إلّا إلى تلك المصالح المنفعية بلهفة، أي لا يقتنع، وأيضاً لا ينبغي إهمال وتقصير قوة الشهوة، فإن التفريط فيها ينجم عنها رذيلة ثانية تتمثل في الخمود.

إن صفة الخمود حسب الغزالي رذيلة من رذائل القوة الشهوية، فهو طرف تفريط ونقصان العفة عن الاعتدال وللتوضيح أكثر يعرفه بأنه: > هو قصور الشهوة عن الإنبعاث إلى ما يقتضي العقل تحصيله<sup>1</sup>

هذا يعني أن كلا الرذيلتين الشره والخمود بمثابة صفتان لأخلاق مذمومة، ويجب التخلص منهما، وذلك عن طريق إخضاعهما للعقل والشرع، فإن أطاع العقل والشرع يحصل الاعتدال، والمتمثل في فضيلة القوة الشهوية، فبواسطة خلق العفة نتصف بأخلاق حسنة. غير أن ما يصدر عن هذين الصفتين الشره والخمود عدة صفات مذمومة، حيث يلخصها الغزالي فيما يلي: > الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والتمتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة<sup>2</sup>.

### د - : العدالة

يقول الغزالي عن العدالة هي: > حالة للقوى الثلاث في انتظامها على التناسب تحت الترتيب الواجب في الاستعلاء مع الانقياد<sup>3</sup>.

إن صفة خلق العدل يتميز عن باقي الفضائل، فهو لا يمثل جزءاً من الفضائل بل هو جملة الفضائل، أي يمثل كل فضائل قوى النفس الإنسانية الحكمة والشجاعة والعفة وما يندرج عنها من صفات خلقية محمودة، غير أنه إذا توفرت في الإنسان هذه الصفة، أي

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 89.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، ج3، ص59.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص90.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

صفة العدل يكون خلقه حسن، كما أن هذه الصفة الخلقية الحسنة تساعده على مواجهة وتصدي جملة من الرذائل التي تعيق طريقه لبلوغ الخلق الحسن والمحمود.

إن اكتساب الإنسان الفضائل، وتخلصه من الرذائل، يعود بالدرجة الأولى إلى اعتدال كل من قوتي الشهوة، والغضب، وهذا لا يتحقق إلا بطاعتها وخضوعهما للعقل والشرع، وهذا الاعتدال يحصل على وجهين حسبما لخصه الغزالي حيث يقول: >إحداهما: بوجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع.... والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب<<<sup>1</sup>.

إن الإنسان السوي أخلاقيا يعمل دائما على مجاهدة نفسه، ويواظب على اكتساب الفضائل والخلق الحسن حتى يصير ذلك طبعاً فيه، فتصدر منه الفضائل بغير مجاهدة نفسه، وبدون تكلف، وذلك راجع إلى اتصافه بصفات خلقية جميلة، والتي تمثل الفضائل الأربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، فبواسطة هذه الفضائل الأربعة يتغلب الإنسان على جملة من الرذائل والتي تتنافى مع العقل والشرع.

فصفة العدالة تتميز عن الفضائل الأخرى، أي فضيلة القوة الناطقة وفضيلة القوة الشهوية، وفضيلة القوة الغضبية، من ناحية ما يصدر عنها من محامد الأخلاق، وما يقابلها من رذائل، ولهذا يقول الغزالي عن صفة العدل: >ولا يكتنف العدل رذيلتين بل رذيلة الجور المقابل له، إذ ليس بين الترتيب وعدم الترتيب وسط<<<sup>2</sup>.

يعني هذا أن العدالة ليست وسط بين رذيلتين كما هو الشأن في الفضائل الأخرى لقوى النفس الإنسانية، فهذه الأخيرة فضائلها تتوسط رذيلتين غير أن العدالة لا تقع بين الرذيلتين بل يقابلها بالضد رذيلة الجور. وفي هذا يقول "زكي مبارك" >ولا يجمد الغزالي على هذه

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص 63.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص91.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

النظرية حتى يعترض عليه، بأن من الفضائل ما لا وسط له بل يقرر أن العدل ليس له طرفان: زيادة ونقص، بل له ضد واحد ومقابل واحد وهو الجور<sup>1</sup>.

كما نعلم أن للفضائل قوى النفس الإنسانية الثلاث عدة رذائل، فأیضا للعدالة رذيلة تسمى الجور؟

### ❖ الجور:

إن الجور يمثل عدة صفات مذمومة تتنافى مع مبادئ العقل، وحدود الشرع فهذه الصفة القبيحة تظهر نتيجة عدم اعتدال وتوازن فضيلة العدالة، التي تمثل خلق العدل، وفي هذا يوضح ويميز لنا الغزالي صفة الجور عن صفة العدل، حيث يقول: **>فالعادلة جامعة لجميع الفضائل، والجور المقابل لها جامع لجميع الرذائل<<<sup>2</sup>.**

إن مما يزيد ويقوي صفة الجور المذمومة هو الخضوع والانصياع لمطالب الهوى، فالهوى إذا تغلب على قلب الإنسان تكون النتيجة وخيمة على خلق الإنسان، حيث ينغمس في ملذات الأنفس بطريقة عمياء، وغير منتظمة، ولكي يحقق الإنسان هدف العقل والشرع لابد له من مقاومة وتصدي هواه، بغية التوصل إلى خلق حسن ومحمود.

غير أن الغزالي يقول عن الهوى هو: **>المذموم من جملة الشهوات دون المحمود<<<sup>3</sup>**  
إن الغزالي من خلال دراسته لفضائل قوى النفس الإنسانية وما يصدر عنها من صفات أخلاقية، توصل إلى نتيجة تتمثل في أن أمهات الأفاضل وأصولها أربعة كلها تقوم على خلق حسن ومحمود نتيجة إعتدالها، وانتظامها، فهذه الفضائل الأربعة هي: **>الحكمة والشجاعة والعفة والعدل<<<sup>4</sup>.**

إن ما ذهب إليه الغزالي فيما يخص هذه الفضائل الأربعة المترتبة على قوى النفس الثلاث، من الأمور التي إستفادت بها من أفلاطون، حيث يرى هذا الأخير أن الخلق الحسن

<sup>1</sup> زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، ص165.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة القدس، ص45.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص45.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، ج3، ص59.

## الفصل الثاني:— الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

---

والمحمود، يرجع بالدرجة الأولى إلى إعتدال تلك الفضائل الأربعة فيما بينها، أي كل من الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>— محمد بيسار: الفلسفة اليونانية، دار الكتاب اللبناني بيروت، (ب ط)، 1983م، ص111.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

### المبحث الثالث : التربية الروحية عند الغزالي

#### 1. مفهوم التربية عند الغزالي:

تتفق جل التعاريف التربوية الحديثة في كون التربية هي تبليغ الشيء كماله، وفي كونها الوسيلة الوحيدة التي نستطيع من خلالها الوصول إلى تنمية قوى الإنسان العقلية منها والطبيعية وحتى الفكرية وهي تمثل حاصل العمليات والسبل التي ينتقل بها مجتمع ما، سواء كان كبيراً أو صغيراً، بثقافته المكتسبة وأهدافه إلى أجيال بهدف استمرار وجوده وتطوره. فهذه التعاريف نجدتها في اتفاق مع تعريف أبو حامد الغزالي في التربية إذ يعرفها بكونها ليست طريقة لخلق أشياء معدومة لم تكن واردة في الإنسان وإنما هي وسيلة لصقل المواهب وتطوير وتهذيب لما هو كامل في الإنسان من مهارات وإستعدادات طبيعية وعقلية حيث يقول أبو حامد الغزالي في رسالة "أيها الولد المحب" عن التربية « برغم من أنها لا تضيف ملكات أو قدرات جديدة للإنسان إلا أنها ضرورية للزرع للأرض والفلاح للبذرة»<sup>1</sup>.

لقد تطرق أبو حامد إلى موضوع تربية الطفل في أشهر كتبه وهو الإحياء فخصص له مبحثاً سماه "طريق ترويض الصبيان في نشوءهم، ففيه حدد مقدار التربية التي يجب أن نوفرها للفرد حيث يقول: «إنه ينبغي صيانتة بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء، فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوءه خرج في الأغلب رديء الأخلاق»<sup>2</sup>.

تحتل التربية الأخلاقية مكانة هامة لدى أبو حامد لذا فيجعل تربية الصبيان أهم إنطلاقة لنشوءهم، كما أن البداية تكون من النشء ليشب على أخلاق حميدة، فالصبي يولد وبه نقص طبيعي وحتى في ملكاته العقلية، وعن طريق التربية يمكننا أكماله، فهو يركز على

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: أيها الولد المحب، تح أبو زين عبد الله، دار الشروق، بيروت، ط1، 1975، ص134.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص94.

## الفصل الثاني: — الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

الأساس الإجتماعي والنفسي فهذا الأخير يلعب دورا في التربية، فالطفل لا يمكن أن يربي نفسه بنفسه لذا وجب التدخل، لأن الغرائز قابلة لتهديب.

### 2. دور التربية في تهديب الطفل:

وبتحديدنا لمعنى الخلق عند الغزالي يتضح لنا أن التربية الأخلاقية تلعب دورا فعالا في تغيير السلوك، فتظهر هنا عقيدته القوية فيما يمكن أن تؤديه التربية الخلقية من تعديل. ويرى الغزالي أن إمكانية تغيير الخلق لا تكون إلا بالتربية لأن الإنسان يولد في ابتداء أمره ناقصا، ولكن له استعداد يقدر به على اكتساب الكمال، بحيث أن الصفات التي جاءت معه، والتي اكتسبها من المحيط يمكن قلعها وإصلاحها، لأن الغزالي المؤمن بالفطرة لا ينسي قيمة التربية التقينية والاستعداد الشخصي الذي يصل بين بالفطرة والتربية فيقول: «...و كما أن البدن في الإبتداء لا يخلق كاملا، وإنما يكمل بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، وإنما تكمل بالتركية، وتهديب الأخلاق، والتغذية بالعلم»<sup>1</sup>.

وينتقد الغزالي أصحاب الرأي القائل بأن الطبيعة الإنسانية لا يمكن تغييرها، بقوله أنهم كسالى ومتواكلين، بحيث أنهم يستصعبون عملية تهديب الصغار وتحسين خلقهم، ذلك أن خلقه الإنسان أو شكله الظاهري لا يمكن تغييره، فلا يمكن أن يجعل الطويل قصيرا، ولا ذميمة جميلا، لهذا يرى الغزالي أنه لو كان تغيير طباع البشر غير ممكن، فما الفائدة من الإرشاد والنصح والتربية، ويقول « لقد ظن بعض المائلين إلى البطالة أن الخلق كالخلق فلا يقبل التغيير والتفت إلى قوله عليه السلام: [ فرغ الله من الخلق ]، وظن أن المطمح في تغيير خلق الله، عزّ وجلّ، وذهل عن قوله عليه السلام [ حسنوا أخلاقكم ] وإن ذلك لو لم يكن ممكنا لما أمره به ولو امتنع ذلك، لبطلت الوصايا والمواعظ، والترغيب والترهيب، فإن

<sup>1</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، ص 259.

## الفصل الثاني: — الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

الأفعال نتائج الأخلاق، كما أن الهويّ إلى أسفل، نتيجة الثقل الطبيعي، فلم يتوجه الملام إلى أحدهما دون الآخر»<sup>1</sup>.

ويستدل الغزالي على رأيه هذا، أنه لما كان من الممكن تغيير طباع الحيوان بالتدريب والتهذيب، حيث يصبح الحيوان المفترس مستأنسا، ويدرب على طباع معينة، كذلك تغيير طباع الإنسان أمر ممكن وميسور فيقول: «لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله صلة الله عليه وسلم [حسنوا أخلاكم]، وكيف ينكر هذا في حقّ الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الإستيحاش إلى الأنس، ولقلب من شره الأكل إلى التآدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والإنقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق»<sup>2</sup>، كما يقول أيضا: «فكذلك تؤبب الطير والنواب»<sup>3</sup>.

كما أن الغزالي يقسم الموجودات إلى نوعين، نوع خلق كامل ولا سبيل إلى تغييره وتعديله مثل الكواكب وأعضاء البدن، ونوع خلق ناقصا، ويمكن تكميله وتعديله مثل الإنسان، فيقول: «...والقول الشافي فيه أنّ ما خلق الله تعالى قسمان: قسم لا فعل لنا فيه، كالسما والكوكب، بل أعضاء أبداننا، وأجزائها، وما هو حاصل بالفعل، والقسم الثاني: ما خلق وجعلت فيه قوة لقبول كمال بعده، إذ وجد شرط التربية»<sup>4</sup>.

ثم يبين الغزالي أن هذا التكميل أو التعديل لا يعني تغيير طباع الإنسان تغييرا كاملا، أو إبادة بعضها، والقضاء عليها، فلو حاولنا مع النزعات الفطرية المغروسة في الإنسان لما أمكننا ذلك، ولأصبنا بالفشل، فيقول: «...فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما

<sup>1</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، ص 247 .

<sup>2</sup> الغزالي: إحياء علوم الدين ج 3، ص 55 - 56 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 65 .

<sup>4</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، ص 247 - 248 .

## الفصل الثاني:— الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

وقهرهما بالكآبة حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه، وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى»<sup>1</sup>.

فالمربي عند الغزالي مطالب بتهديب فطرة الصبي، وتعديل غرائزه، وهذا لا يعني كبتها أو استئصالها، ذلك لأنه أمر غير ممكن وغير مرغوب فيه، وهو مناف لطبيعة البشر، لأن الغرائز الفطرية خلقت في الإنسان لتأدية وظائف معينة لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها في حياته: « فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورة في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لا نقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهك»<sup>2</sup>.

ولكن الغرائز عند الغزالي مختلفة، فبعضها سهل التعديل، وبعضها صعبة ويرجع ذلك إلى سببين أساسيين هما:

الأول: « باعتبار التّقمم في الوجود. فإنّ قوة الشهوة وقوة الغضب وقوة التّفكر موجودة في الإنسان، وأصعبها تغييراً، وأعصاها على الإنسان، قوة الشهوة، فإنّها أقدم القوى وجوداً، وأشدّها تشبثاً والتصاقاً، فإنّها توجد معه في أول الأمر حتى توجد في الحيوان الذي هو جنسه، ثم توجد قوة الحميّة والغضب بعده، وأما قوة الفكر فإنّها توجد آخرًا»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص56 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 56-57.

<sup>3</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، ص248-249.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

وهذا يعني أن للإنسان ثلاث قوى أساسية هي: الشهوة، الغضب، وقوة التفكير وأصعبها تغييرا هي قوة الشهوة ، ذلك أن أول ما يخلق في الإنسان قوة الشهوة ثم تليها قوة الغضب، وأخيرا قوة التفكير.

الثاني: « أن يتأكد الخلق بكثرة العمل بموجبه، والطاعة له، وباعتقاد كونه حسنا مرضيا<sup>1</sup>».

أي أن التدريب على أي نوع من السلوك أو ممارسته للإعتقاد بأنه سلوك مرضي، لا بد من تثبيته في الإنسان حتى يصير جزءا من عاداته المتأصلة فيه، كما يرى الغزالي أن الأفراد من حيث قابليتهم للتهديب ينقسمون الى أربعة أنواع:

✓ **الشخص الجاهل:** وهو الذي لا علم له بالخير والشر على حد سواء، وعلاجه يكون أمرا ميسورا لا صعوبة فيه، فإن الوعظ والإرشاد من طرق المؤدب، والعزيمة القوية من جانب الشخص وحده كفيلا بإصلاح حاله، و تهذيب أخلاقه، فيقول فيه: « هو الإنسان الغفل الذي لا يعرف الحق من الباطل، والجميل من القبيح، فسيبقى خاليا عن الاعتقاد، وخاليا أيضا عن تشمير شهواته باتباع الدّات، فهذا أقبل الأقسام للعلاج، فلا يحتاج إلا إلى باعث في نفسه، يحمله على الإّباع، فيحسن خلقه في أقرب وقت<sup>2</sup>».

✓ **الشخص الجاهل الضال:** وهو الذي يعرف ما هو قبيح ومذموم، لكنه لم يألف العمل الصّالح، وبل يتلع شهواته، ويعرض عن الخير، وتهذيب أخلاق هذا الشخص في نظر الغزالي أصعب من تهذيب أخلاق السّابق فهو: « أن يكون قد عرف قبح القبيح، ولكنه لم يتعود العمل الصّالح ، بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته، وإعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه، ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول، إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه، إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولا من كثرة الإعتياد للفساد،

<sup>1</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا: ص 249.

<sup>2</sup> نفسه، ص 249 .

## الفصل الثاني:— الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

والآخر أن يغرس في نفسه صفة الإعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض له بجد و تشمير وحزم»<sup>1</sup>.

✓ . الشخص الجاهل الضال الفاسق: الذي يعتقد أن سوء الخلق هو الأمر المستحسن والمفضل، وأن ممارسة الخصال الذميمة أو الإعتياد عليها، إنما هو الصواب بعينه، ومثل الشخص يندر إمكان تهذيبه وإصلاح حاله وهو: « أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة، وأنها حقٌ وجميل، ثم تربي عليها فهذا يكاد تمتنع معالجة، ولن يرجي صلاحه إلا على الذّور، إذ تضاعفت عليه أسباب الضلال»<sup>2</sup>.

✓ الشخص الجاهل الضال الفاسق الشرير: وهو « أن يكون مع نشئته على الرأى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن أن ذلك يرفع قدره، وهذا هو أصعب المراتب، و في مثله قيل: ومن العناء رياضة الهرم، ومن التعذيب تهذيب الذّيب»<sup>3</sup>.

كما يرى الغزالي أن هناك من الناس من ولد حسن الخلق بفطرته، بحيث لا يحتاج إلى تعليم وتأديب وهم الأنبياء عليهم السلام، أما بقية الناس فلا بدّ من تأديبهم وتهذيب أخلاقهم، ويقول في هذا: «.....وهذا الاعتدال يحصل على وجهين: أحدهما: بجود إلا هي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان، ويولد كامل العقل وحسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب، بل خلقنا معتدلين منقادتين للعقل والشرع، فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحي بن زكريا عليهم السلام، وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ولا يبعد أن يكون في الطّبع والفطرة ما قد ينال بالاكْتساب فربّ صبّي خلق

<sup>1</sup>الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3، ص56.

<sup>2</sup>الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، ص 250.

<sup>3</sup>الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص56.

## الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية

صديق اللهجة سخياً جرياً، وربما يخلق بخلافه، فيحصل ذلك فيه بالاعتیاد ومخالطة المتخلفين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم<sup>1</sup>.

لهذا نجد أن الغزالي اهتم بتهدیب أخلاق الصبي، ذلك أن الطفل في نظره يولد صفحة بيضاء، أي صحيح الفطرة فيكتسب الرذائل والفضائل عن طريق التربية التي يتلقاها من والديه، أو عن طريق الخصال التي يكتسبها من البيئة التي يعيش فيها، ومن العادات التي يتعود عليها، كما أن: « الطرق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأكدها والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعمله نسا عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في أبواه، و كل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهم إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له»<sup>2</sup>.

فتهدیب الابن من أخطر مهام الأب، وأعظم واجباته، ويعتبر تقصير الأب في القيام بهذه المهمة إهمال في أخطر واجب كلفه وأمره به الدين، فطبيعة الكفل التي فطر عليها تكون ناقصة التكوين، ويمكن أن تكتمل بالتربية الصالحة، لهذا تحدث الغزالي عن الطرق التي يتم بها تهدیب أخلاق الصبي.

<sup>1</sup> الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص 58 .

<sup>2</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، ص 258.

## الفصل الثالث



### مقارنة بين الفلسفة الخلقية لمسكويه

### والغزالي

المبحث الاول: أوجه التشبه بين ابن مسكويه والغزالي

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين ابن مسكويه والغزالي

## المبحث الأول: أوجه التشابه بين ابن مسكويه والغزالي:

يمكن أن نتحدث عن أول نقطة التي يتشابه بها ابن مسكويه وأبو حامد الغزالي والتي كانت الدافع القوي لتوجه كل هاذين الفيلسوفان إلى الحديث والكتابة عن الجانب الخلقى بشكل مفصل واقترح كل منهما مجموعة من الآراء التي أراد أن يتجاوزا بها الوضع الذي كان سائدا في عصر كل منهما.

## 1- في الأخلاق:

وعليه فنجد كل من مسكويه والغزالي قد اتفقا في تعريفها للأخلاق فابن مسكويه يعرف الخلق بأنه: «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وقد قسم الحال إلى قسمين: ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، ويمثل هذا القسم السلوك الفطري ...، ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب، ويمثل هذا النوع جميع الأفعال والعادات المكتسبة ...»<sup>1</sup>.

يؤكد ابن مسكويه بأن الإنسان بطبيعته خلق من أجل فعل الخير وإن سعيه وتوجهاته كلها تنطوي على الخيرات وتحقيق السعادة.

ويقول في ذلك: «الواجب الذي لا مرية فيه ينبغي أن يحرص على الخيرات التي هي كماننا والتي من أجلها خلقنا ونجتهد في الوصول إلى الانتهاء إليها، ونجتنب الشرور التي تعوقنا عنها وتنقص من حظنا منها»<sup>2</sup>

يتضح لنا بأن الإنسان يمتلك الحرية التامة التي تمكنه من الإقدام على فعل الخير فهو يتميز عن باقي المخلوقات بجوهره وإرادته، فإنه دائما يسعى إلى الخير الذي يحقق له الهدف الاسمي الذي من أجله وجد، ولذلك لا بد من الابتعاد على كل ما له صلة أو علاقة بالأفعال الشريرة، وهذه الأخيرة هي التي تؤدي به إلى الهلاك وانحطاطه من مكانته أي من

<sup>1</sup> نقلا عن: حمزة سليمان، عبد المنان ملا معمور بار: الخلق منظور تربوي نفسي مسكويه والغزالي، مجلة جامعة أم القرى، العدد 11، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، 1995، ص 98.

<sup>2</sup> نفسه، ص 98.

مرتبة الإنسانية ونزوله إلى المرتبة الحيوانية، فإذا كان على دراية ووعي على ما يقدم عليه من أفعال ترضي الله عز وجل فقد فاز بالدرجة العليا التي أرادها الله تعالى له.

إن كلمة أخلاق قد وجدت قبل الغزالي فنجد في الحديث الشريف: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>1</sup>.

فالغزالي فهم علم الأخلاق بمنظور خاص، فهولم يساير الفلسفة اليونانية، إنما يفهم من علم الأخلاق شرح طرائق السلوك، وفقا لما تسنه الشريعة السمحة، ورسمته الصوفية، ومن هنا نحوهم من الفقهاء، ولعلم الأخلاق فيما يريد أسماء متعددة: فهوتارة يسميه علم صفات القلب، وحينها يسميه أسرار معاملات الدين، وربما سماه أخلاق الأبرار، وهواسم لبعض مؤلفاته، واهم كتبه في الأخلاق نجده سماه أحياء علوم الدين<sup>2</sup>.

إن الغزالي يؤيد أبحاثه بأحاديث الصوفية، ومما روي عن الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهو يستشهد كثيرا بأقوالهم وأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم لذلك تتضح منحى الأخلاق الغزالية.

يعرف الغزالي الخلق: « فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية، فاذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وان كانت الصادرة عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقا سيئا»<sup>3</sup>.

وهذه الهيئة حسب الغزالي هي صورة النفس الباطنة لا تكون خلقا حسنا إلا بحسب قوى النفس الثلاث أي قوة التفكير وقوة الشهوة وقوة الغضب، وكمالها هو تحقيق العدالة

<sup>1</sup>السلسلة الصحيحة، برقم 45.

<sup>2</sup> زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، ص 159-160.

<sup>3</sup> نقلا عن: نور الدين ابولحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط 2، 2012 م، ص 221، 222.

والانسجام بينهما، فمن استوت فيه هذه القوى كلها واعتدلت كان حسن الخلق مطلقاً ومن كمل عنده البعض كان حسن الخلق نسبياً.

إننا نلاحظ بان الغزالي يتفق في تعريفه للخلق مع مسكويه وذلك في بداية تعريفهما هناك أوجه شبه حيث نلاحظ ما يلي:

أ. ابن مسكويه: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ...

ب. الغزالي: هيئة للنفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ...

يتضح لنا بان تعريف الغزالي يشبه كثيراً تعريف ابن مسكويه خاصة في الجزء الأول كما ذكرنا، وذلك لان الغزالي قد انتفع بما كتبه مسكويه في الجانب الأخلاق إلا أن أبوحامد الغزالي قد ترك بصمته الخاصة في التعريف ولم ينقله عن مسكويه كما هو، إذ أكد على أن هيئة النفس التي يصدر عنها الفعل فإذا كان ذلك الفعل محموداً ومرضياً فإنه يطلق عليه خلقاً حسناً لان حسن الخلق هو صفة المرسلين وأفضل أعمال الصديقين لقوله تعالى: ﴿وَنُكِّلَ لَطَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>1</sup> وان كان الفعل قبيحاً مذموماً غير مقبول فإنه يطلق عليه خلقاً سيئاً لان الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة.

#### ❖ القبول بقابلية تغير الأخلاق:

إذا كانت أخلاق الإنسان قابلة للتغيير وهذه مسألة اختلاف بين المفكرين والفلاسفة، فهناك من يرى انه لا يمكن تغيير الأخلاق لأنها فطرية، وهناك رأي مناقض له يؤكد بإمكانية تغيير الخلق وهذا ما قال به مسكويه والغزالي وقد اخذ ابن مسكويه على منكري صفة التطبع في تقدير الأخلاق المكتسبة وما تنهياً له النفس من قبول التحول للأخذ بضروب التأديب والتهديب.

<sup>1</sup>سورة القلم: الآية 4.

فإننا نجد مسكويه يقر بان القدماء قد اختلف في الخلق « فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة، وقال بعضهم: قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ ثم اختلف الناس اختلافا ثانيا فقال بعضهم: من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه وقال آخرون: ليس شي من الأخلاق طبيعيا للإنسان ولا تقول انه غير طبيعي، وذلك ان مطبوعون على قبول الخلق بل تنتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعا وإما بطيئا...»<sup>1</sup>

ونجد الغزالي يقول في هذا المعنى: « إذا تغيرت الخلق ممكن ويقول في ذلك تعليقا على قوله عليه السلام - حسنوا أخلاقكم - لولم يكن ممكنا لما أمر به، ولو امتنع ذلك لطلب الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب، فان الأفعال نتائج الأخلاق... بل كيف ينكر تهذيب الإنسان مع استيلاء عقله، وتغير خلق البهائم ممكن إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى التأنس: والفرس من الجماح إلى السلاسة»<sup>2</sup>.

وماذا نحن أدركنا هذا القول تسنى لنا أن نفهم الحكمة الجليلة التي ينطوي عليها قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتخير الخير يعطيه ومن يتوقى الشر يوقه»<sup>3</sup> فالعلم والتعلم والتبصر والتوقى والتنوع وغيرها من هذه الصفات من أهم أسس ومقومات الخلق النفسي، فهي تعتبر الوسيلة ميسورة إلى ترقى النفس في مدارج الفضيلة واكتسابها كما إننا نجد الغزالي يؤكد على إمكانية تغيير الخلق في موضع آخر وذلك في احد أهم كتبه "إحياء علوم الدين" على أن الأخلاق تتغير عن طريق المجاهدة حيث يقول « اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق... فزعم أن الأخلاق لا يتصور غيرها فان الطابع لا تتغير واعتدل فيه بأمرين: احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر،

<sup>1</sup> مسكويه: تهذيب الأخلاق، تح عماد الهلالي، ص 265

<sup>2</sup> زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، ص 165

<sup>3</sup> صحيح الجامع برقم 2328

فإن الخلق الظاهرة لا يقدر على تغييرها والقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً... إنهم قالوا  
حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب، وقد جربنا ذلك بالمجاهدة»<sup>1</sup>

لأشك بان الغزالي ومسكويه سار في نفس المنحى الذي سعيا من أجله وهوان الغاية من الأخلاق تطهير النفوس وجلاتها وصفائها، وصقلها بالفضائل والتخلص من الرذائل، وفقا لما تنص عليه الشريعة المولى عز وجل من قيم ونصائح في صالح الفرد من أجل تنظيم حياته وأعداده لتعايش مع غيره لأن الأخلاق ترمي إلى السعادة الأخروية، كما إنهما ربطا بين النظري والعملي في نسقهما الخلقى، والأخلاق حسبهما ليست مجرد دعوة نظرية إلى إتباع السلوك الفاضل بل إنها في حقيقتها فعل خلقى.

## 2- في السعادة:

يؤكد ابن مسكويه والغزالي على أن السعادة هي نتيجة طبيعية للفضيلة ومن ثم فإن السعادة الحقيقية عند مسكويه هي تجاوز عالم المحسوسات إلى العالم الملائكى، كما أن عنصر اللذة لا يمكن أن يكون بين مكونات السعادة القصوى، لأن اللذة هي عنصر جسماني خسيس ولا يمكن أن يكون أصل الشريف خسيساً، يقول ابن مسكويه بان هناك قوم ظنوا: «إن كمال الإنسان وغايته هما في اللذات الحسية، وإنها هي الخير المطلق والسعادة القصوى، وظنوا أن جميع قواه الأخرى إنما ركبت فيه من أجل هذه اللذات والتوصل إليها، وأن النفس الشريفة التي سميها ناطقة إنما وهبت ليرتب بها الأفعال ويميزها ثم يوجهها نحو هذه اللذات لتكون الغاية الأخيرة هي حصولها على النهاية والغاية»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، تح بدوي بطانة، ج 3، ص 54.

<sup>2</sup> نقلاً عن مصطفى عشوي: الإنسان والكمال في فكر مسكويه، ص 11.

إن هؤلاء الناس الذين جعلوا اللذة غاية في نفوسهم فإنهم لا يستعملون هذه الغاية جهارا بل هم يستحون ويخنفون من يحققون هذه الغاية الخسيسة والذنيئة فهم أشبه بالحيوانات التي لا تدرك في هذه الحياة إلا إرواء أجسادها وإشباع رغباتها.

وان من شروط السعادة القصوى هو أن يكون الفرد ذا صحة جيدة فالصحة الجسدية شرط ضروري للوصول إلى السعادة الأبدية لان الأمراض لها تأثير سلبي على حالة عقل الإنسان، وان السعادة تتحقق عن طريق الاجتماع بين الناس والتعاون والمشاركة في ازدهار المجتمع بدلا من العيش في المغارات والجبال.

قد سار الغزالي على نفس نهج ابن مسكويه في حديثه عن السعادة الحقيقية هي مجاوزة المحسوس والتقرب من الله تعالى، وذلك يتحقق بتهديب الخلق وترويض النفس وعليه فان السعادة القصوى هي الخير الاسمي، فالغزالي يرى بان الخيرات في هذه الحياة كثيرة ولكنها ترجع إلى أربعة أنواع:

- خيرات البدن: وهي أربعة: الصحة، القوة، والجمال، وطول العمر.

- خيرات النفس: وهي الفضائل التي تقدم ذكرها: الحكمة، العفة، الشجاعة والعدالة.

- الخيرات الخارجية: المال، والأهل، والعزم، والعشيرة.

- الخيرات التوفيقية: وهي كذلك أربعة: هداية الله ورشده، وتسديده وتأييده.

وهذه الخيرات التي لا بد لها من بعضها للتوصل إلى البعض الآخر، ليس شيء منها هو الخير الأعلى أي السعادة وان كانت في حاجة لها كلها لتكون كاملة.

إن هذا الخير الذي يقول به الغزالي إنما يعني به « السعادة الأخروية والتي تعني بها بقاء بلا فناء، ولذة بلا عناء وسرور بلا حزن، وغنى بلا فقر، وكمال بلا نقص وعز بلا نذل وبالجملة: كل ما يتوصل، إن يكون مطلوب طالب، ومرغوب راغب، وذلك ابد الابد»<sup>1</sup>.  
فالسعادة الأخروية هي السعادة الحقيقية في نظر الغزالي والطريق الموصل لتحقيق هذه الغاية هما أمران: العمل والعلم.

فالعمل يكون لتطهير النفس وإزالة مالا ينبغي إن يسودها من شهوات، والعلم هو تحصيل مالا بد منه لهذا الكمال.

### 3- في التربية:

تعتبر التربية من الموضوعات التي اهتم بها كل منها - ابن مسكويه، والغزالي - فقد اتفقا في موضوعها الأساسي، وهو الاهتمام بالإنسان الفرد بكل إبعاده النفسية والجسمية والخلفية والاجتماعية.

فابن مسكويه كانت أولى منطلقاته بهذا الشأن هو التصور الإسلامي بالإضافة الى الثقافات الوافدة على الفكر الإسلامي، خاصة في مجال الأخلاق وتحليل النفس حيث كان تأثره بالفلسفة اليونانية كبيرا جدا.

كما سبق لنا الذكر بان مسكويه يؤكد لنا على ضرورة تربية السلوك الخلقى لدى الفرد لان هذا الأخير له ميزات وفوارق فردية في قبول التأديب والتهديب، إلا انه توجد فئة من الأفراد نجد فيهم الصفة الخيرة الفاضلة مغروسة فيه.

لذلك يتوضح لنا هذا من خلال قوله: «إننا نجد من الناس من هو خير فاضل من مبدأ تكوينه نرى فيه النجابة طفلا وتنغرس فيه الفلاحة ناشئا بان يكون حيا كريم الخيم

<sup>1</sup> الغزالي: ميزان العمل، تح سليمان دنيا، ص 180 .

يؤثر مجالسة الأخيار وموانسة الفضلاء، وينفر من أصدادهم وليس يكون بذلك إلا بعناية تلحقه من أول مولدة، ونجد أيضا من لا يكون بهذه الصفة من مبدأ تكوينية بل يكون كسائر الصبيان إلا انه يسعى ويجتهد ويطلب الحق إذا رأى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى يبلغ مرتبة الحكماء، اعني أن يصير علمه صحيحا وعمله صوابا <sup>1</sup>.

أما العامل الثاني الذي يؤكد عليه مسكويه في تكوين الطفل هو عن طريق الاعتياد فالطفل عندها يتعود على القيام بأفعال معينة فهي تترسخ في شخصيته، سواء كانت حسنة أم سيئة. كما إننا نجده كذلك يصر على عامل الحياء في الطفل فهو يقوي ويعزز شخصيته.

وعليه فان ابن مسكويه قد وضع منهجا تربويا لتربية الصبيان، والذي ينص على عدة طرق لابد من الوالد أوالمعلم إتباعها من اجل شخص صالح، ووقايته من السلوك الخلقى المنحرف فهويحذر من ترك الصبي في مخالطة رفقاء السوء وأهل الشر الذين يؤدون به إلى التهلكة وإبعاده عن سنن الدين كما نجده أيضا يحذر من ترك الصبي يستمع إلى الشعر الفاحش، وعدم الاستكثار من الأطعمة فيجب عليه طلب الطعام بما يكفي حاجته فقط، وإلا ينهمك في الملذات الدنيوية الزائلة، وتحدث كذلك انه يجب على الوالد أوالمعلم إن بمدح ويكرم الصبي الذي يتخلف بالأخلاق الحسنة ويتبع ما قدم له من آداب ونصائح، حيث يقول مسكويه «يمدح بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه، فان خالف في بعض الاوقات ما ذكرته فالأولى إن لا يوبخ عليه ولا يكشف بأنه أقدم عليه بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله انه قد تجاسد على مثله ولا هم به لاسيما إن ستره الصبي

<sup>1</sup>نقلا عن محمد حمزة سليمانى، عبد المنان ملا معمورة بار: الخلق منظور تربوي نفسي لدى كل من مسكويه والغزالي،ص 107.

واجتهد في ان يخفي ما فعله عن الناس فان عاد فليوبخ عليه سرا ويعظم عنده ما اتاه. ويحذر من معاودته»<sup>1</sup>.

وفي النقطة المهمة يسير الغزالي على نفس النحوالذي نجاه قبله مسكويه، من خلال وضع منهاجاً تربوياً فالغزالي يرجع بسبب الاختلاق بين الناس الى تلك الاستعدادات الفطرية الفردية الفردية - فوارق فردية - والى مدى قابليتها للتهديب وفي تحديد الغزالي لمفهوم الفطرة فانه يأخذ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه»<sup>2</sup>.

فالمقصود من الفطرة عند الغزالي الدين والنقاء فالمؤثرات الدينية لها شأن كبير في تكوين الشخصية الصالحة لدى الطفل، كما أن المجتمع هو الذي ينقش فكر الطفل بما هو صالح، وتكوين شخصية الطفل أمراً أساسياً فهو يولد ناقص حيث يقول الغزالي: « والطفل أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة »<sup>3</sup>.

والى جانب الفطرة التي يراها الغزالي صحيحة ومعتدلة والإنسان لا دخل له فيها، وإنما الطبع هو الذي يكتسبه، فهو قد يكون من الأسرة أو البيئة الاجتماعية المحيطة به.

إما عن العامل الثاني في تكوين الأخلاق هو الاعتقاد فالمرء عند ما يعتاد أفعال معينة تصبح صفة ثابتة في شخصيته، ومتى كانت أفعاله جميلة كان حسن الخلق، ومتى كانت عكس ذلك ظهر الفرد سيئ الأخلاق.

فالغزالي يحرص على المحيط الخارجي لمراقبة الطفل، وضرورة تحصينه من المخالطة السيئة وهو ما عبر عنه الغزالي بقراءة السوء.

<sup>1</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص 49.

<sup>2</sup> الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة.

<sup>3</sup> تقلا عن: زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، ص 80.

فقد وضع الغزالي منهاجاً لتربية الطفل فأولى الإرشادات والنصائح التي يتلقاها الصبي تكون من طرف الوالد، فيجب عليه إن يؤدبه ويهذبه ويعلمه الأخلاق الحسنة المرضية ولا يعود على الرفاهية والزينة، كما يجب عليه إن لا يعود عن كثير الأكل وذلك بدم الطفل الشره ومدح الطفل المتأدب القنوع ولا بد من تحذيره من اللباس الملون لأنه ليس من عادات الرجال، كما انه إذا رأى فعلاً حسناً صدر من الطفل فلا بد من أن يجازيه ويمدحه عليه وإذا اخطأ فلا يعاتبه من المرة الأولى، كما يجب عليه تعليمه الصلاة ولا يسامحه في تركها ويعوده على الصوم إذا بلغ سن التمييز.

ومن خلال ما سبق فإن الغزالي قد اهتم بتهديب أخلاق الصبي اهتماماً بالغاً، فالتربية الأخلاقية تعدل الطباع، وهي عملية تتفاعل بين الفطرة والبيئة، كما نجد الغزالي ينبه الوالد أو المربي أن يعرف أهمية اللعب بالنسبة للطفل كأداة تساعد على تربيته وتعليمه حيث يقول: «وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من المكتب باللعب الجميل يستريح به، فإن منع الصبي من اللعب يميئ قلبه، ويخمد ذكائه، ويحمله على الاحتيال للخلاص من الكتاب»<sup>1</sup>.

إن حديث الغزالي على أهمية اللعب للصغار قد سبق به عصره، فالتربية المعاصرة تتفق مع الغزالي في هذا الرأي وما لعب من فوائد على الطفل وعليه فقد اتفق كل من ابن مسكويه والغزالي في الهدف الذي تسعى إليه التربية والذي هو مطابق لأهداف التربية الإسلامية، التي تستهدف بناء الفرد الذي يسعى لتقرب إلى الله عن طريق تطهير النفس من شوائب، وردائل والتخلي بالفضائل كما أنهما أكد على أن الأخلاق والتربية لا تتفصلان ومهمة الأخلاق لديهما تعديل السلوك وتحسين الطابع، وتقويمه ولا يمكن تعديل السلوك إلا عن طريق التربية.

<sup>1</sup> زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، ص 282.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين ابن مسكويه والغزالي:

### 1. في الاتجاه بين العقل والروحي:

بالرغم من التقاء ابن مسكويه والغزالي في عدة نقاط، إلا أنهما يختلفان كل الاختلاف من ناحية الاتجاه فكل منهما يمثل اتجاها قائما بذاته برغم من المؤثرات التي تأثر بها فهي تكاد أن تكون متطابقة .

#### أ. الاتجاه العقلي:

ويمثله ابن مسكويه فعلاوة إلى تأثره بالنزعات الفكرية والعقلية والمذاهب الأخلاقية لدى فلاسفة اليونان، ونجد من بينهم أفلاطون وأرسطو وبوسيون، كما تأثر بالحكمة الشرقية القديمة وعترف بذلك صراحة في كتابه تهذيب الأخلاق، فقد كان فيلسوفا عقلانيا في كل آرائه التربوية.

ونظرا لمكانته شخصية مسكويه في الفكر الفلسفي الإسلامي ولشهرته الواسعة في ميدان الأخلاق، ولمكانة الفلسفة الطبيعية والإلهية، والارتباط الوثيق بينهما في نطاق الفكر الفلسفي، ونظرا لأهمية الدراسات النقدية التي تعتمد على المنطق العقلي في الكشف عن أخطاء الفكر الفلسفي اليوناني والإسلامي<sup>1</sup>.

#### ب. الاتجاه العقلي والروحي:

والذي يمثله أبو حامد الغزالي فهو نشأ أولا نشأة صوفية فالغزالي تأثر بالثقافة الإسلامية يطلع على الفكر الإسلامي السابق ووقف على التصوف فجعله الطريقة المنير له، كما طلعة على الفلسفة اليونانية وتأثر بها وهذا ما نجده في حديثه عن الفضائل الذي تأثر فيها

<sup>1</sup> أنظر: علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية و الإلهية، ط1، الدار الإسلامية للطباعة والنشر المنصورة - جمهورية مصر العربية، ط1، 2010، ص 116.

بأرسطو وتأثر بأفلاطون في حديثه عن النفس. إلا ان تأثره بالفلسفة لا يصل درجة تأثره بالإسلام وثقافته، فقد كان روحيا وصوفيا في كل أرائه التربوية.

## 2. في النفس :

وجدنا أن كل من مسكويه وأبو حامد الغزالي قد تحدثا عن موضوع النفس ضمن الفكر الاخلاقي لهما، فكان عرض مسكويه للنفس على أنها جوهر بسيط، قائم بذاته لاعلاقة له بالجسد ولا جزء منه ولا حال من أحواله وأن النفس هي كيان أوعماد الجسم فهي أكرم وأفضل من طباع الجسم لأنها تقوم بفهم وتفسير المبادئ الشريفة العالية التي تبنى عليها القياسات الصحيحة وأن النفس مخالفة تماما للمادة وهذا ما قد فصله مسكويه في كتابه "التهديب" وقمنا بتوضيحه في فصل الاول من هذه الدراسة فهويثبت لنا بأن النفس أشرف من الحواس وأنها بريئة من التصرفات الدنيئة فهي تستطيع أن تحكم على أخطاء الحواس، كما أن النفس في نظر ابن مسكويه لا تتغير وتستحيل لأن كل التغيرات انما من خواص الجسم كما أن النفس الى طلب العلوم والفضائل الشريفة، بينما الجسم على عكسها يتشوق الى ما يشبع رغباته فقط.

والنفس عند ابن مسكويه ذات ثلاث قوى، فبتحديده لطبيعة النفس البشرية تأثر مسكويه بالقسمة الثلاثية الأفلاطونية لكنه حين يتكلم عن القوة العاقلة يتكلم عنها كلاما أرسطيا إذن النفس عند مسكويه ثلاث قوى سبق انا ذكرها .

1- القوة العاقلة مركزها الرأس وفضيلتها الحكمة .

2- القوة الغضبية مركزها القلب وفضيلتها الشجاعة .

3- القوة الشهوانية مركز موضعها البطن وفضيلتها العفة .

وعليه نجد بأن مسكويه قد تأثر بالفكر اليوناني والفلاسفة الأقدمين وحول النفس وتقسيماتها فقد كان واضحاً من خلال ما أخذه عن أفلاطون في تقسيمه الثلاثي للنفس فهولم يهتم كثيراً بالقوى النفس التي تناولها العلماء المسلمون، وربما يرجع ذلك بسبب التبعية وذلك أن مسكويه قد قرأ كتب أفلاطون من بينها كتاب النواميس ولأرسطو كتاب الأخلاق إلى النيقوماخوس كما قرأ لجالينوس كتاب الأخلاق وهذا ما نجده في كتابه تهذيب الأخلاق.

فهو اهتم بالقوى النفسية التي سبق لنا وأن شرحناها، لأنها تمثل الأساس لأرائه النفسية الخاصة بالجوانب التربوية والأخلاقية.

أما عن النفس عند أبي حامد الغزالي صحيح أنه أخذ بالتقسيم الثلاثي للنفس وهذا ماقت بتوضيحه في الفصل الثاني، مثله مثل مسكويه إلا أننا نجده قد اختلفا في مضمونها للنفس فالغزالي يقدم لنا مساهمات كبيرة ومتميزة في مجال فهم النفس الانسانية خاصة في كتابه "معارج القدس في مدارج معرفة النفس" فالإصطلاحات أو العبارات الاربع القلب والروح والنفس والعقل كلها تصب في معنى واحد عند الغزالي، أي أنها تمثل النفس الانسانية حيث يقول الغزالي: «ونحن حيث أطلقنا في هذا الكتاب لفظ النفس، والروح، والقلب، والعقل، فنريد به النفس الانسانية التي هي محل المعقولات»<sup>1</sup>.

يتضح لنا أن هذه العبارات الاربع تشير كل منها الى واقع اللطيفة الربانية من ناحية علاقتها بالبدن، فعلاقة اللطيفة بالبدن لا يمكن أن تمثل نقطة محددة في البدن بل في كل أعضاء البدن، قد يكون الارتباط خاص بين اللطيفة والقلب، أو بين اللطيفة والعقل.... إن معنى القلب من خلال ما لخصه الغزالي، أنه يدل على اللطيفة الربانية مادامت في الجسد، غير أن الغزالي يميز بين القلب والقلب لجسماني، فهذا الاخير هو عضو من أعضاء الجسم يتصف بالعريضة، أما القلب بالمعنى الأول يعني به اللطيفة الربانية، أي هو قلب ذا جسم

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي : معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص18.

لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، ولهذا فالقلب بالمعنى الاول ليس له مساحة ولا مقدار كمي.

إن لفظ الروح عند الغزالي من العبارات الأربع، حيث تمثيل بمعنيين الأول هي تلك التي تتبع من تجويف القلب الجسماني منتقلة عبر العروق إلى سائر أجزاء البدن إلى جميع أعضائه، فإن جريانها في الجسد، حيث تفيض بنورها على الحواس وأعضاء البدن.

ومن العبارات الأربع أيضا العقل فهو اللفظ الرابع والأخير في الحديث عن الطبيعة الانسانية، وفي هذا يتضح لنا بأن العقل هي حقائق الأمور فالعقل هدفه الوحيد هو الكشف عن أسرار الامور من أجل بلوغ الحقيقة .

يعني هذا أن من خلال هذه التعاريف والاقوال التي تخص العبارات الأربع في بعض معانيها أنها تمثل اللطيفة الربانية، أي أن اللطيفة الربانية أحوال وصفات تتعلق بالقلب، والروح والنفس والعقل.

غير أن هذه العبارات الأربع كلها متعلقة ببعض أعضاء البدن أي أن من وراء كل عبارة من العبارات الأربع تعلق جسماني، حيث يقول الغزالي عنها «وهي القلب لجسماني، والروح الجسماني، والنفس الشهوانية والعلوم صحيح أن الغزالي عرف النفس بأنها جوهر روحاني لا علاقة لها بالمادة إلا أننا نجده بعض أحيان يصرح بأن هنال فعلة علاقة قائمة بين الجوهر الروحي والوالجسد المادي فإن مهمة النفس إتجاه البدن. دور إصلاح وتوجيهي، وذلك بالتصرف، والتدبير، أي أنها مبدأ تحريك الإنسان إلي أفاعيل الجزئية كاتخيل والخجل، والحياء، والضحك، والبكاء وما أشبه ذلك، كما أن الجسد يزود النفس بأعضائه.

إن بالرغم من تأثير الغزالي بالتراث اليوناني إلا أنه أعطى للنفس صبغة صوفية إسلامية لان دراسته للطبيعة البشرية على عكس ما قال به مسكويه بأن النفس تتطلع الى

الكمال الانساني الذي يحقق السعادة. لكن الغزالي يرى الكمال هو العناية القصوى إنما الكمال الذي يؤدي الى المعرفة الالهية، كما نستنتج بأن رياضة النفس عند مسكويه تكمن في النظر والفكر فمتى تعطلت النفس عن النظر وعدمت الفكر وانقطعت عن كل ما يحقق لها الخير فإنها بذلك ترجع الى رتبة البهائم.

أما عن رياضة النفس عند الغزالي فهي تمكن في مجاهدة النفس ومغالبتها من أجل تحقيق الاعتدال والاتزان ولا تكون معالجة أمراض النفس إلا بأضدادها، إذن الرذيلة لا تعالج الا بالفضيلة.

### 3. في السعادة:

رغم سير كل من ابن مسكويه والغزالي في نفس الوتيرة في بعض الأمور التي تقوم عليها السعادة، إلا أننا نجد لهما اختلافاً حول تحقيق السعادة، فنجد مسكويه يؤكد على أن السعادة لا يمكن أن تظهر في الزهد والخلو واعتزال الناس، لأنه من الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالابتعاد والعيش في المغارات والكهوف، ذلك إننا نجد مسكويه يصر على الاجتماع المدني أي بالاحتكاك بالغير لان الإنسان لا يمكن ان يعيش بمفرده فهو إذا عاش في الانعكاف و العزلة فانه يصبح من الجمادات وأفعاله مثل أفعال الموتى لا يمكن الحكم عليها بالخير أو الشر، إذن أفعاله تكون معطلة ولا تحقق له الفضائل في حياته او يسعد السعادة التامة، إذن يصرح مسكويه بان السعادة الحقيقية لاتتم في ظل اللذات الحسية والرغبات المادية لأن هذا الطريق من يسلكه فإنه يحطم نفسيته -خاصة الناطقة -بالأمور الخسيسة فهؤلاء الداعين إلى ربط السعادة بمتع الدنيا فهم ظلوا عند مستوى البهيمة، وإمتاع النفس الحسية فهم أشبه بالحيوانات، وأنهم جهال في نظره لأنهم جعلوا النفس خادمة للجسد .

فالسعادة المطلقة عنده في إشباع رغبات البدن والنفس معاً، لأن الإنسان في حقيقته وحدة واحدة في ظل تحقيق الكمالين، كمال ككائن عامل وكمال ككائن عالم أي وحدة العلم

والعمل، فبقوة العلم والنظر إلى الأمور يصل إلى الحقيقة وبقوة العمل يرتب هذه الأمور، فمسكويه يرى بأن السعادة المطلقة هي بلوغ للكمال النظري والكمال العملي.

إذن السعيد عند مسكويه هو من تحقق له الحظ الوافر من الحكمة بشقيها العملي والنظري .

أما عن السعادة عند الغزالي فهو يرى بأن السعادة القصوى أو سعادة الآخرة لا تتحقق إلا عن طريق العزلة و الخلوة وانفراد الإنسان عن كل مشاغل الدنيا، فهو على على عكس مسكويه الذي يرفض هذا النوع من الحياة، إلا أن الغزالي ينادي بحياة الزهد والعزلة فهو يقر بهذا نظراً لاعتناقه التجربة الصوفية، وذلك أنه من المعروف أن الفكر الصوفي يسعى دائماً في كل مكان و زمان لضمان حاجة سامية من حاجات النفس البشرية إلا وهي الوصول إلى السعادة والكمال، فالصوفية أخذت الدين والذات الإلهية بالتحديد منطلقاً لها، إلا أن طريق الصوفية تعتبر محطات يقطعها السالك من أجل السعادة القصوى والتقرب من الله عزوجل، فنجد الغزالي يؤكد بأنه لا بد على الفرد أن ينقطع عن البشر لفترة محدودة وترك الأعمال الدنيوية وذلك بالتخلص من شوائب الحس وملذات الجسد وكل قيود المادة لمدة يسيرة كي يتفرغ القلب من كل هموم الدنيا التي لا تنتهي، وبعدها لا بد له من استعمال القلب في الكشف عن الحقائق الربانية متجهاً بذلك لعبادة الله وذلك قصد الاستمتاع بالانوار الربانية، لأن العبد همه الوحيد هو الفوز بالجنة لكنها ليست بالأمر الهين فلا بد على الفرد تجاوز كل ما يتعلق بالظاهر متوجهاً بذلك نحو الباطن واستجلاء الوجدان والروح.

نخلص من كل هذا أن نظرة أبو حامد الغزالي حول السعادة هي نظرة ذات طابعاً صوفياً روحياً بحتاً ينبني على مفاهيم عدة منها الذوق والتصوف والزهد والخلوة ...

## 4- في الفضيلة:

إن الفضيلة في نظر علماء الأخلاق وسط بين رذيلتين وهذا ما نجده قد أكد لنا ابن مسكويه في حقيقة هذه الصفة في كتابه تهذيب الأخلاق فالفضائل عنده أربعة والتي سبق لنا ذكرها في العديد من المرات، الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة فهذه الفضائل هي فضائل رئيسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتقسيم الثلاثي لقوى النفس لأن كل قوة من قوى النفس تقابلها فضيلتها فالنفس الناطقة تقابلها فضيلة الحكمة فهي وسط بين رذيلتين السفه والبله، والنفس الغضبية تقابلها فضيلة الشجاعة فشجاعة كذلك وسط بين رذيلتين، فإن تجاوزت الصفة حدود الوسط ابتعدت عن الفضيلة، فمثلا التهور زيادة في الشجاعة والجبن زيادة في الحذر الاحتياط ولا يمكن ان تتحقق لنا فضيلة ففي ظل من التهور والجبن، لإنتقاء صفة الكمال في ذلك الاختيار السلوكي، أما النفس الشهوانية تقابلها فضيلة العفة وهي وسط بين رذيلتين هما الشره والخمود.

نعلم بأن عدد الفضائل عند مسكويه يكون بعدد قوى النفس، لكننا نجد هناك فضيلة رابعة وهي فضيلة العدالة فإن هذه الاخيرة تتحقق من خلال اجتماع واتحاد لأنفس الثلاث فيما بينها وذلك بخضوع كل من القوتين الشهوانية والغضبية للقوة الناطقة.

وفضيلة العدالة مميزة بين الفضائل جميعها لأنها هي القاسم المشترك بينهم فهي تمثل الفضيلة كلها وليست بجزء منها فإن فضيلة العدالة نجد لها أيضا رذيلتين وهما الظلم والإنظلام.

يتضح لنا من خلال هذا أن مسكويه يؤكد أن كل فضيلة بين رذيلتين، فإنه يقر بأن الفضائل تتحقق من خلال الموازنة العقلية.

صحيح ما ذكرناه عن الفضائل عند مسكويه فإننا نجدها نفسها عند الغزالي لكننا نريد بذلك أن نبدي نقاط الاختلاف بينهما.

ف نجد الغزالي على عكس مسكويه فهولا يفرق بين كلمة فضيلة وكلمة أخلاق فهما عنده حالة كمال لنفس تتألف إذا اعتدلت قواها فلم تجنح الى افراط أوالتفريط، فأصول الفضائل عند الغزالي أربعة وهي: الحكمة، الشجاعة، العفة، العدالة.

الى أننا نجده ينادي بفضائل أخرى يمكن أن نصفها بسلبية مثل فضيلة الفقر، الزهد، التوكل، وفضيلة الجوع وهذا ما لم نجده عند مسكويه، فكان من لأجدر عن الغزالي أن ينادي بفضائل إيجابية كفضيلة الأمل وفضيلة التفاؤل.

كما نجده يختلف عن مسكويه في الفضيلة الجامعة للفضائل الأخرى وهي العدالة، فعدالة عنده ليست وسط بين رذيلتين وإنما يقابلها ضد واحد وهو الجور.

إن دراسة الغزالي لموضوع فضائل ورذائل قوى النفس الإنسانية، يدل حقا على أن هناك علاقة موجودة بين النفس والجسد، حيث يتضح ذلك من خلال كل قوى من قوى النفس الإنسانية وما يصدر عنها من فضائل ورذائل، فمثلا القوة الغضبية تمثل جهاز دفاعي والتي مقرها القلب، فهذا الجهاز يعمل دائما من أجل حماية الجسم أي يكون له إرادة قوية التي تؤمن له ما يحتاج إليه من رغبات ومطالب دنيوية منتظمة، لذا فتوازن وتوافق فضائل قوى النفس الإنسانية، ينجم عنها اكتمال خلقي حسن لشخصية الفرد، ويصبح خلقة جامع لجميع الفضائل.



الخاتمة

### خاتمة :

ان ما يمكن ان نستخلصه من خلال هذه الدراسة المتواضعة والوجيزة التي تأمل أن تكون في المستوى، هو أن كل من ابن مسكويه وابو حامد الغزالي من المفكرين المعدودين في الاسلام الذين عنوا بفلسفة الأخلاق بقدر وافي فكلاهما استقر من عيون مختلفة، وتمثل ثقافات متعددة، وقد ظهرت اثار هذا واضحة فيما افوه وكتبوه، ومن أهم المصادر نجد الفلسفة اليونانية، وخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو، وهذا التأثير جاء نتيجة للاتصال الحضاري بين الحضارتين الإسلامية واليونانية، فمن الإنصاف أن تقول من خلال المسائل التي درستها أن التأثير والاقتراس من الفلسفة اليونانية واضحان لا يمكن إنكارهما عند كل من الفيلسوفين، وهذا ليس بعيب مادام المفكر ينظر في رأي غيره، ويضيف فكره إلى فكره، فيخرج لنا مذهباً له طابعه الخاص .

وبعد دراستي وتعمقي في الفكر الأخلاقي لكل منهما - ابن مسكويه والغزالي - خرجت بجملة من الاستنتاجات:

- يمكن القول بان طبيعة الأخلاق التي اطر لها كلاهما تدل على انها أخلاق إسلامية نابعة من روح الاسلام منتهجة نهج الكتاب والسنة متميزة بطابعه الفلسفي .
- يمكننا ان نلاحظ بان فلسفتها الأخلاقية، كانت تسعى من اجل غاية واحدة وهي السعادة القصوى ولا من اجل غاية أخرى، كما كان كلاهما يقلل من شان الماديات ويعتبرها المعيق للوصول إلى السعادة خصوصا اذا استعملنا هذه الماديات أكثر من اللزوم .
- ان المفكرين كلاهما يكمل الآخر وان فلسفة الأخلاق عندهما تبرز لنا جليا صراع الفكر العربي من اجل المحافظة على كيانه وفي نفس الوقت محاولة الانتفاع بتجارب وخيرات الشعوب المجاورة .

- ان تفكير مسكويه الأخلاقي تفكير استقرائي وضع للخاصة من المثقفين فقط .فهو حين يدعو إلى السعادة النظرية فهو يدعو إلى سعادة فئة سمحت لها ظروفها المادية بان تطلب الحكمة والمعرفة
  - نلاحظ تناقضا بين مسكويه وأقواله فهو يدعو إلى نبذ المال والاكتفاء بالقدر القليل والضروري الا انه يقول عنه التوحيدي :«انه كان حريصا على الدنيا وعلى طلب المال ...كان بخيلا كل البخل، حريصا على طلب الدنيا لدى أصحاب السلطان»<sup>1</sup>.
  - نجد ان ما كتبه الغزالي في الأخلاق صادر عن ثقافة واسعة وتجربة عميقة، فقد قرأ القرآن، وقرأ الفلسفة والتصوف فهو سلك التصوف طريق وعاشه حياة، وضاع منه فكريا جيدا مطبوع بطابعه ومتسما بسماته .
  - استطاع الغزالي من خلال آرائه في التربية الأخلاقية ان يسبق بما يزيد عن ثمانية قرون الآراء التربوية المعاصرة والحديثة إلى كثير من الآراء والحقائق فعلى الرغم من تأثير حجة الإسلام بالفلسفة اليونانية، وبكل من سبقه، من متكلمين وفلاسفة ومتصوفة، الا انه يعد صاحب تراث ضخم اثر بشكل كبير في عصره والعصور التالية له .حيث قامت الكثير من الدراسات التي تناولت فكر حجة الإسلام، سواء في المشرق العربي او المغرب، كما كانت كتاباته الخصبة مجالا لدراسات المستشرقين.
  - يرى مسكويه بان فئة لم يمكن لها إصلاح نفسها لأنها مطبوعة بالشر وهناك فئة أخرى يمكن ان نصلح منها سلوكها وهذه الفئة قابلة للتهذيب وسؤالنا هو كيف نعرف ان هذا الشخص طبعه لا يسمح له بالتحول فيبقى شرير إلى الأبد ؟
- الا يمكن ان يكون المنهج التربوي هو الفاسد وليس أخلاق فئة من الناس هي شريرة بالطبع .

<sup>1</sup>ابو علي احمد مسكويه: الحكمة الخالدة، تح عبد الرحمن بدوي، مؤسسة انتشارات وجاب داشكاه تهران، 1377، ص17.

وإذا تمكنا من معرفة هؤلاء الأشرار والذين لا ينفع فيهم لا تربية ولا أي شيء فماذا نحن فاعلون بهم؟ أن الضرب لا ينفع ولا تربية؟

- الفكر الأخلاقي عند مسكويه متأثر إلى حد بعيد بالتراث اليوناني أما الآثار الشرقية من عربية وإسلامية وغيرها فقليلة وبقي وفيها في نظريته الأخلاقية إلى أرسطو والحكماء القدامى.
- أما الغزالي رغم تأثره بالتراث اليوناني إلا أنه أضفى عليه طابعا صوفيا إسلاميا خالصا وأسس أخلاق تتماشى مع الروح التراث الإسلامي متجاوزا أرسطو وأفلاطون معبرا عن أخلاق إسلامية أصيلة من حيث المصدر والطبيعة.



# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي الشريف .
1. بن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ط1، دارا لكتب العلمية بيروت -لبنان، 1985م.
2. ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد الهلالي، ط1، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، 2011.
3. ابن مسكويه: الفوز الاصغر، (ب ط)، بيروت، 1919م.
4. أبو علي أحمد مسكويه: الحكمة الخالدة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، مؤسسة الانتشارات و جاب دشكاه، تهران، 1377.
5. أبو حامد الغزالي: معراج القدس في مدارج معرفة النفس، (ب ط )، الشهاب الجزائ، 1989م.
6. أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (ب ط)، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، 1983 م.
7. أبي حامد الغزالي: ميزان العمل، (ب ط)، مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، 1963م.
8. الغزالي: ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، ط1، دار المعارف، مصر، 1964م.
9. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ج4، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1986م.
10. الغزالي: إحياء علوم الدين، بدوي بطانة، (ب ط)، مكتبة و مطبعة كرياضة فواترا، سماراغ، (ب ت).

11. أبو حامد الغزالي: أيها الولد المحب، تحقيق أبو زين عبد الله، ط1، دار الشروق، بيروت، 1975م.

12. أبو حامد الغزالي: المنقذ من الظلال، ط2، دار التونسية للنشر، (ب ت).

### قائمة المراجع :

1/ الشيخ كامل محمد محمد عويفة: ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1993م.

2/ زكي مبارك: الاخلاق عند الغزالي، (ب ط)، كلمات عربية لترجمة والنشر، القاهرة (ب ت).

3/ زكي مبارك: الاخلاق عند الغزالي، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1924م.

4/ علي إمام عبيد: فلسفة مسكويه الطبيعية و الالهية، ط1، الدار الاسلامية للطباعة و النشر المنصورة، جمهورية مصر العربية، 2010م.

5/ محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الاخلاق، (ب ط)، دار القلم، الكويت 1982م.

6/ محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الاسلام، (ب ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (ب ت).

7/ محمد بيضار: الفلسفة اليونانية، (ب ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.

8/ محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الاخلاق، (ب ط)، مطبعة الازهر، 1943م.

9/ نور الدين أبو لحية: الاصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ط2، دار الانوار للنشر والتوزيع، 2012م.

10/باجي التكريتي: فلسفة الاخلاق بين أريسطو وابن مسكويه، (ب ط)، دار الدجلة، عمان، 2012م.

### المجلات:

1/ابتهاج إبراهيم الامين محمد النور: الاسس الفلسفية لفكر ابن مسكويه الاخلاقي، (ب ط)، مجلة المنير، العدد18، (ب ت).

2/حمزة سليمان، عبد المنان ملا معمور با: الخلف منظور تربوي نفسي مسكويه و الغزالي، مجلة أم القرى، العدد11، مكة المكرمة -المملكة العربية السعودية، 1995م.

3/حياة بنت سعدين عمر بأخضر: النفس عند الفلاسفة الاغريق، مجلة أم القرى العلوم الشرعية والدراسات الاسلامية، العدد46، محرم1430هـ.

4/مصطفى عشوى: الانسان والكمال في فكر مسكويه، مجلة الراسخون، العدد13، 2015.

### الموسوعات و المعاجم :

1/ابن منظور: لسان العرب، ج1، ط1، دار صادر، بيروت، 1983.

2/ابن منظور: لسان العرب، تقديم عبد الله عل الكبير، (ب ط)، دار المعارف، القاهرة، (ب ت).

3/إبراهيم مكور: المعجم الفلسفي، (ب ط)، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، القاهرة، 1983.

4/أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، ج1، عويدات لنشر والطباعة، لبنان، 2008م.

5/جلال الدين سعيدة: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (ب ط)، دار الجنوبي للنشر، تونس، 2004م.

6/جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.

7/مراد وهيبية: المعجم الفلسفي، (ب ط )، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.

8/هيئة الموسوعة العربية الشاملة: مج1، ط1، منتدى مكتبة الاسكندرية، 1998م.

الموقع الالكتروني :

-<http://www.mowhopon.net> 15:20 على 16/04/2018

-<http://ar.m.wikibidia.org> 10:15 على 08/02/2018



# فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

	شكر و عرفان
	اهداء
ا-د	مقدمة
	الفصل الاول: الأسس الفكرية العامة في فلسفة مسكويه الأخلاقية
6	المبحث الأول: نظرية النفس عند مسكويه
6	1. مفهوم النفس:
10	2. قوى النفس:
14	المبحث الثاني: الفلسفة الخلقية عند مسكويه
14	1- مفهوم الاخلاق:
14	أ. الأخلاق لغة:
14	ب. المعنى الاصطلاحي:
15	ج. الخلق عند مسكويه:
17	2- الخير والسعادة وسبل تحقيقها:
17	أ- الخير عند مسكويه:
19	ب- السعادة:
19	ب-1- السعادة عند مسكويه:
20	ب-2- أقسام السعادة:
21	ب-3- أنواع السعادة:
24	3- الفضيلة ومراتبها:
25	أ. مفهوم الفضيلة
25	أ-1- الفضيلة لغة:
25	أ-2- الفضيلة إصطلاحا:
25	ب الفضيلة عند مسكويه:

27	ب-1- فضيلة الحكمة:
28	ب-2- فضيلة الشجاعة
29	ب-3- فضيلة العفة:
30	ب - 4- فضيلة العدالة:
32	المبحث الثالث: التربية الروحية عند مسكويه
32	1 - مفهوم التربية:
32	أ. التربية لغة:
32	ب. التربية اصطلاحاً:
33	2-التربية عند مسكويه:
35	2 -1- المراحل التي يمر بها الطفل وكيفية تهيئته:
36	2 -ب حياة الفضيلة عند الطفل:
الفصل الثاني: الأسس الفكرية العامة في فلسفة أبو حامد الغزالي الأخلاقية	
39	المبحث الأول: نظرية النفس عند الغزالي
39	1- مفهوم النفس:
40	2- قوى النفس:
40	1.2. القوة الناطقة:
42	2.2. القوة الشهوية:
43	2.3. القوة الغضبية
46	المبحث الثاني: الفلسفة الخلقية عند الغزالي
46	1- مفهوم الخلق
48	2- السعادة وسبل تحقيقها
49	أ-السعادة الدنيوية
50	ب-السعادة الأخروية
54	3- الفضائل والرذائل
55	أ- الحكمة

57	ب- الشجاعة
59	ج- العفة
61	د- العدالة
65	المبحث الثالث : التربية الروحية عند الغزالي
65	1- مفهوم التربية عند الغزالي:
66	2- دور التربية في تهذيب الطفل:
الفصل الثالث: مقارنة بين مقارنة بين الفلسفة الخلقية لمسكويه والغزالي	
73	المبحث الأول: أوجه التشابه بين ابن مسكويه والغزالي:
73	الأخلاق:
77	1- السعادة:
79	2- التربية:
83	المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين ابن مسكويه والغزالي:
83	1- في الاتجاه بين العقل والروحي:
84	2- في النفس
87	3- في السعادة:
89	4- في الفضيلة:
92	خاتمة
95	قائمة المصادر والمراجع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ